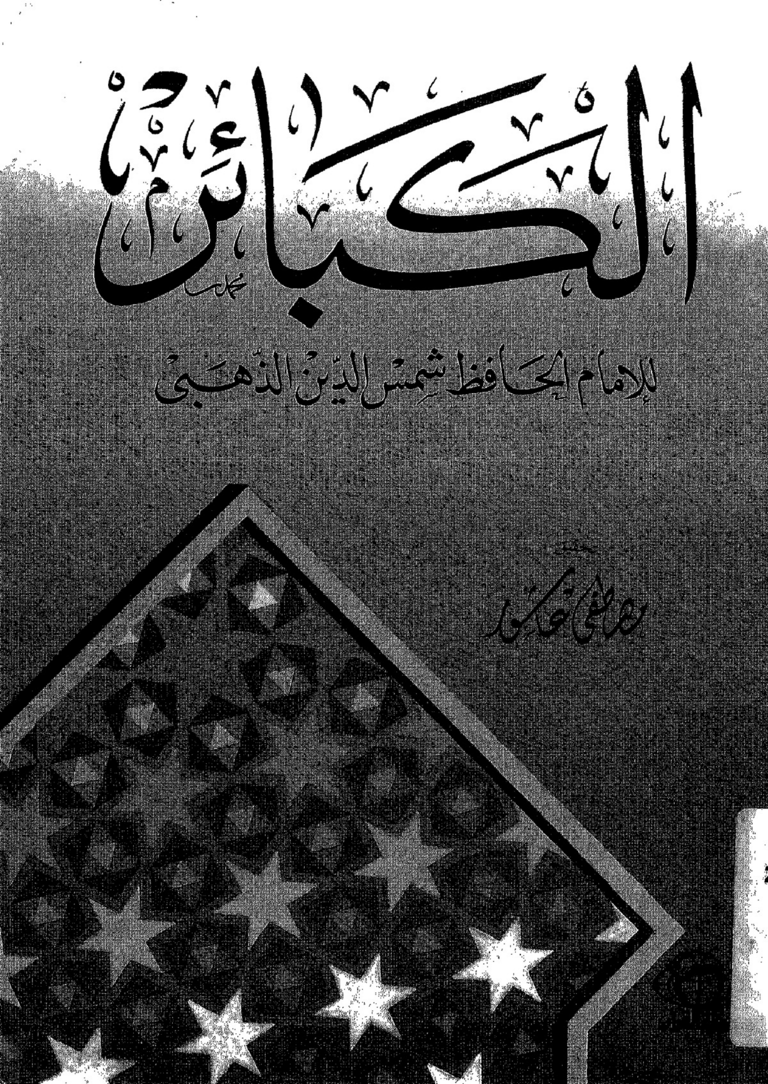

الكبائر
للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي
تحقيق
مصطفى عاشور



للإمام الحافظ شمس الدين الذهبى

تحقيق

مصطفى عاشور

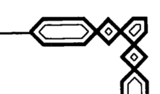
مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع

٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق

القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١





الكتاب والمؤلف

بادىء ذى بدء ، يعد كتاب « **الكبائر** » من أفضل الكتب التى وصلت إلينا فى بيان كبائر الذنوب وخطورتها والعواقب الوخيمة المترتبة عليها فى الدنيا والآخرة .

ذلك أن هذا الكتاب يجمع بين دفتيه مميزات عديدة ؛ حيث يتعرض للكبائر من خلال القرآن والسنة ، ثم يذكر أقوال الصحابة والتابعين ، وكثيرا مايذكر موعظة أو حكاية ترغب القارىء فى اتباع الفضائل واجتناب الخطايا .

من أجل هذا لقى هذا الكتاب رواجاً كبيراً بين جمهور القراء ، لاسيما وأن مؤلفه هو الحافظ الذهبى ، الذى تمكن من علوم عصره الأساسية ، من أصول وفقه وتفسير ولغة وتاريخ وطب وما إلى ذلك . ثم تخصص فى علوم الحديث والتاريخ ، فأظهر فيهما مقدرة فائقة ، جعلته يتفوق على أقرانه ، بل على شيوخه ؛ حتى صار لايُضارع فى عصره فى هذين المجالين .

ويكفى لنا لكى نبين أهمية وعظمة هذا العالم الجليل أن نذكر بعض أقوال الأئمة العلماء فيه :

قال الصفدى : « لم يكن عنده جمود المعده بل كان فقيه النفس ، له دراية بأقوال الناس » .

وقال ابن كثير : « وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه ... » .

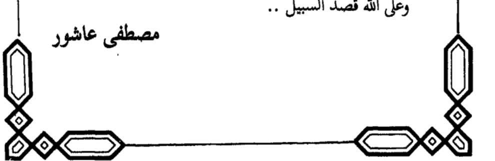
وقال السيوطى : « والذى أقوله : إن المحدثين عيال الآن ــ زمن السيوطى ــ فى الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة : المزى ، والذهبى ، والعراقى ، وابن حجر » .

وقال السبكى : « لانظير له ، وكبير ، هو الملجأ إذا نزلت المعضلة ، إمام الوجود حفظاً ، وذهب العصر معنى ولفظاً ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال فى كل سبيل » . تلك هى أقوال بعض العلماء فيه ، وليس هذا بكثير عليه ، بل هو مايستحقه من ثناء وإعجاب ؛ فالرجل قد خلف لنا ثروة علمية رائعة فى التاريخ والتراجم وعلوم الحديث نذكر منها : تاريخ الإسلام الكبير ، وسير النبلاء ، وطبقات القراء ، وميزان الاعتدال وتذهيب تهذيب الكمال ، والمجرد فى أسماء رجال الكتب الستة ، والمنتقى (مختصر منها السنة لابن تيمية) ، والعلو للعلى الغفار وقد ظل الحافظ الذهبى على ماهو عليه من تأليف وتدريس حتى ضعف بصره وكف عام ٧٤١هـ ، فتوقف عن التأليف ، ولم يزل يدرس حتى مات فى عام ٧٤٨هـ . ودفن بمقبرة باب الصغير بدمشق ؛ فرحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته . وقد صدق مَنْ قال :

مَنْ للحديث وللسارين فى الطلب
من بعد موت الإمام الحافظ الذهبى

وعلى الله قصد السبيل ..

مصطفى عاشور



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل في الكبائر والمحرمات والشبهات .

الكبائر

ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين ، وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى :

﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَاتُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً ﴾[1]

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة .

وقال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُم يَغْفِرُونَ ﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ ﴾**[3] .

وقال رسول الله ﷺ : **« الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر »**[4] ، فتعين علينا

---

(١) سورة النساء : الآية ٣١ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٣٧ .

(٣) سورة النجم : الآية ٣٢ .

(٤) مسلم : كتاب الطهارة ، حديث ١٦ . وأحمد : الجزء الثانى ، ص ٤٠٠ .

الفحص عن الكبائر ماهي لكي يجتنبها المسلمون . فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها ، فقيل : هي سبع . واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . متفق عليه**[٥] . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع وصدق والله ابن عباس . وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر ، والذى يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم ، مما فيه حد فى الدنيا ، كالقتل والزنا والسرقة ، أو جاء فيه وعيد فى الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد ، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة ، ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض . ألا ترى أنه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر ، مع أن مرتكبه يخلد فى النار ولا يغفر له أبداً . قال الله تعالى : **﴿ إِنَّ اللهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾**[٦] .

[الكبيرة الأولى : الشرك بالله]

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان : أحدهما ـــ أن يجعل لله نداً ويعبد غيره ، من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبى أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذى ذكره الله عز وجل ، فقال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[٧] .

وقال تعالى : **﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾**[٨] . وقال تعالى : **﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾**[٩] .

---

(٥) مسلم : كتاب الإيمان ١٤٤ . والبخارى : الوصايا ٢٣ ، والحدود ٤٤ (محاربين ٣٠) .
(٦) سورة النساء : الآية ٤٨ .
(٧) سورة النساء : الآية ٤٨ .
(٨) لقمان : ١٣ .
(٩) المائدة : ٧٢ .

والآيات فى ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً ، فهو من أصحاب النار قطعاً ، كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار . وفى « الصحيح » أن رسول الله ﷺ قال : **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ــ ثلاثاً ــ قالوا : بلى يارسول الله قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ؟ وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت**[١٠] . وقال ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** »[١١] فذكر منها الشرك بالله : وقال ﷺ : « **من بدل دينه فاقتلوه** » **الحديث**[١٢] .

والنوع الثانى من الشرك : الرياء بالأعمال كما قال تعالى :
﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾[١٣] .

أى لايرائى بعلمه أحداً . وقال ﷺ : « **إياكم والشرك الأصغر ، قالوا : يارسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء** »[١٤] وقال ﷺ « **يقول الله : من عمل عملا اشرك معى فيه غيرى فهو للذى أشرك وأنا منه برىء** »[١٥] . وقال « **من سمّع سمّع الله به ومن راءى راءى الله به** »[١٦] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « **رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع**

---

(١٠) مسلم : الايمان ١٤٣ . والترمذى : الشهادات ٣ ، تفسير سورة ٤ ، ٥ . وأحمد : الخامس ص ٣٧ ، ٣٨ .
(١١) سبق .
(١٢) البخارى : جهاد ١٤٩ ، اعتصام ٢٨ . والنسائى : تحريم ١٤ .
(١٣) الكهف : ١١٠ .
(١٤) البيهقى ، وأحمد بإسناد جيد ، وابن أبى الدنيا .
(١٥) ابن ماجه ، وأحمد ، وغيرهما .
(١٦) البخارى : رقاق ٣٦ ، أحكام ٩ . وأحمد : الثالث ، ص٤٠ . والخامس ، ص و« سمّع » بتشديد الميم . ومن تسميع العبد : أن يعلن عمله بين الخلق طلباً للشهر و« سمّع الله به » معناه : أن الله يفضحه بين الخلائق يوم القيامة بأنه مراء غير مخلص .

والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر »[١٧] يعنى أنه : إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له ، كما روى عنه ﷺ أنه قال : « مثل الذى يعمل للرياء والسمعة كمثل الذى يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشترى به ، فإذا فتحه قدام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه ، ولا منفعة له فى كيسه سوى مقالة الناس له ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئاً . فكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ، ولا ثواب له فى الآخرة »[١٨] قال الله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[١٩] يعنى الأعمال التى عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور . وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس . وروى عدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يؤمر بفئام ــ أى جماعات ــ من الناس يوم القيامة إلى الجنة ، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها وإلى ماأعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن اصرفوهم عنها فإنهم لانصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة وندامة مارجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ماأعددت لأوليائك كان أهون علينا . فيقول الله تعالى : ذلك ماأردت بكم . كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ماتعطونى من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابونى واجللتم الناس ولم تجلّونى ، وتركتم للناس ولم تتركوا لى ــ يعنى لاجل الناس ــ فاليوم أذيقكم أليم عقابى مع ماحرمتكم من جزيل ثوابى[٢٠] . وسأل رجل رسول الله ما النجاة ؟ فقال ﷺ : « أن لاتخادع الله » . قال : وكيف يخادع الله ؟ قال : « أن تعمل عملا أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله واتق الرياء

---

(١٧) ابن ماجه : صيام ٢١ . والدارمى : رقاق ١٢ . وأحمد : الثانى ، ص ٤٤١ .

(١٨) لم نقف عليه فى المصادر التى بين يدينا ، وقد أورده ابن حجر فى الزواجر ، من كلام بعض الحكماء لاحديثاً نبوياً .

(١٩) الفرقان : ٢٣ .

(٢٠) رواه البيهقى وابن أبى الدنيا ، بسند ضعيف .

فإنه الشرك الأصغر ، وإن المرائى ينادى عليه يوم القيامه على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يامرائى ، ياغادر ، يافاجر ، ياخاسر ، ضل عملك وبطل أجرك ، فلا أجر لك عندنا ، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يامخادع »[٢١] وسئل بعض الحكماء رحمهم الله : من المخلص ؟ فقال : المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته . وقيل لبعضهم : ماغاية الإخلاص ؟ قال : أن لا تحب محمدة الناس . وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : ترك العمل لاجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما اللهم عافنا منهما واعف عنا .

[الكبيرة الثانية : قتل النفس]

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتعمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** ﴾[٢٢] . وقال تعالى : ﴿ **وَالذِينَ لَا يدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إلّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيه مُهاناً ، إلّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحاً** ﴾[٢٣] . وقال تعالى : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذٰلِك كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فى الْأَرْضِ فكأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾[٢٤] . وقال تعالى : ﴿ **وَإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾[٢٥] .

وقال النبى ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** »[٢٦] . فذكر قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق . وقال رجل للنبى ﷺ : أى الذنب أعظم عند الله

(٢١) رواه ابن أبى الدنيا ، عن صحابى لم يسم وسنده ضعيف .
(٢٢) النساء : ٩٣ .
(٢٣) الفرقان : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .
(٢٤) المائدة : ٣٢
(٢٥) التكوير : ٨ — ٩ .
(٢٦) سبق تخريجه .

تعالى ؟ قال : أن تجعل لله ندًا وهو خلقك . قال : ثم أى ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» . قال : ثم أى؟ قال «أن تزانى حليلة جارك »[٢٧] فأنزل الله تعالى تصديقها ﴿**والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون**﴾[*] الآية . وقال ﷺ «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار**» قيل : يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : «**لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»[٢٨] .

قال الإمام أبو سليمان ــ رحمه الله ــ : هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل ، إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية ، أو طلب دنيا . أو رئاسة ، أو علو فأما من قاتل أهل البغى على الصفة التى يجب قتالهم بها ، أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لايدخل فى هذه ، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصاً على قتل صاحبه . ومن قاتل باغياً ، أو قاطع طريق من المسلمين ، فإنه لايحرص على قتله ، إنما يدفعه عن نفسه ، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه . فإن الحديث لم يرد فى أهل هذه الصفة . فأما من خالف هذا النعت فهو الذى دخل فى هذا الحديث الذى ذكرناه . والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « **لاترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** »[٢٩] وقال رسول الله ﷺ « **لايزال العبد فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً** »[٣٠] وقال صلى الله عليه وآله وسلم « **أول مايقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء** »[٣١] ، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « **لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** »[٣٢] ، وقال ﷺ : « **الكبائر الإشراك بالله**

(٢٧) البخارى : تفسير سورة البقرة ، باب ٣ . ومسلم : الإيمان ، حديث ١٤١ ، ١٤٢ . وأحمد : الأول ، ص ٣٨٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٦٤ .

(٢٨) النسائى : تحريم ٢٩ . وابن ماجه : فتن ١١ . وغيرهما .

(*) سورة الفرقان : ٦٨ . ل

(٢٩) الترمذى والنسائى والشيخان ، وغيرهم .

(٣٠) أحمد وغيره .

(٣١) أحمد ومسلم وغيرهما .

(٣٢) الضياء المقدسى والبيهقى والنسائى ، بسند صحيح .

وقتل النفس واليمين الغموس »[٣٣] وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها فى النار ، وقال ﷺ : « لاتقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل » مخرج فى الصحيحين ، وقال ﷺ : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً » أخرجه البخارى .

فإذا كان هذا فى قتل المعاهد ــ وهو الذى أعطى عهدا من اليهود والنصارى فى دار الإسلام ــ فكيف بقتل المسلم ، وقال ﷺ « ألا ومن قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً » صححه الترمذى وقال ﷺ : « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى » رواه الإمام أحمد . وعن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا »[٣٤] . نسأل الله العافية .

[الكبيرة الثالثة : فى السحر]

لأن الساحر لابد وأن يكفر . قال الله تعالى :

﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾[٣٥] .

وما للشيطان الملعون غرض فى تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به .

قال الله تعالى مخبرا عن هاروت وماروت :

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَايُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَايَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ . وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾[٣٦] أى من نصيب .

---

(٣٣) رواه النسائى وغيره .
(٣٤) أبو داود : فتن ٦ ، والنسائى : تحريم . وأحمد : الرابع ، ص ٩٩ .
(٣٥) البقرة : ١٠٢ .
(٣٦) البقرة : ١٠٢ .

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون فى السحر ويظنونه حراماً فقط ، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون فى تعليم السيمياء[٣٧] وعملها وهى محض السحر وفى عقد الرجل عن زوجته وهو سحر ، وفى محبة الرجل للمرأة وبغضها له . وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال .

وحد الساحر : القتل ، لأنه كفر بالله ، أو مضارع الكفر . قال النبى ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** »[٣٨] فذكر منها السحر . والموبقات : المهلكات . فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **حد الساحر ضربه بالسيف** »[٣٩] والصحيح أنه من قول جندب . وعن بجالة بن عبدة أنه قال : أتانا كتاب عمر رضى الله عنه قبل موته بسنة : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . وعن وهب بن منبه قال : قرأت فى بعض الكتب : يقول الله عز وجل : لا إله إلا أنا ليس منى من سَحر ولا من سُحر له ، ولا من تكهن ولا من تكهن له ، ولا من تطيِّر ولا تطيِّر له . وعن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لايدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر** » . رواه الإمام أحمد فى مسنده وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً قال : « **الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك** »[٤٠] التمائم جمع تميمة ، وهى خرزات وحروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك . والتِّوَلة بكسر التاء وفتح الواو : نوع من السحر ، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ماقدر الله تعالى .

---

(٣٧) أى الكيمياء قديماً .
(٣٨) سبق تخريجه .
(٣٩) الترمذى : حدود ٢٧ .
(٤٠) أبو داود : طب ١٧ ، وابن ماجه : طب ٣٩ ، وأحمد : الأول ، ص ٣٨١ .

قال الخطابى رحمه الله : وأما إذا كانت الرقية بالقرآن ، أو بأسماء الله تعالى فهى مباحة ، لأن النبى ﷺ كان يرقى الحسن والحسين رضى الله عنهما ، فيقول : « **أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة** »(٤١) والله المستعان وعليه التكلان .

[الكبيرة الرابعة : فى ترك الصلاة]

قال الله تعالى : ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً** ﴾(٤٢) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين ــ رحمه الله ــ : هو أن لايصلى الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولا يصلى العشاء إلى الفجر ، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغىٍّ ، وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه . وقال الله تعالى فى آية أخرى : ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾(٤٣) أى غافلون عنها ، متهاونون بها . وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال : « **هو تأخير الوقت** »(٤٤) أى تأخير الصلاة عن وقتها ، سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب . وقيل : هو واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على مافرط . وقال الله تعالى فى آية أخرى :

---

(٤١) رواه الترمذى وأحمد وغيرهما .

(٤٢) مريم : ٥٩ .

(٤٣) الماعون : ٤ ــ ٥ .

(٤٤) لم يثبت هذا التفسير للويل عن رسول الله ﷺ . وقد رواه البزار فى مسنده ، من رواية عكرمة بن ابراهيم وقال : رواه الحافظ موقوفاً ولم يرفعه غيره ، والراجح أنه من كلام سعد بن أبى وقاص .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(٤٥) .

قال المفسرون ، المراد بذكر الله فى هذه الآية الصلوات الخمس ، فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين . وهكذا قال النبى ﷺ : « **أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر** »(٤٦) .

وقال الله تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم :

﴿ مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ . فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾(٤٧) .

وقال النبى ﷺ : « **العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** »(٤٨) .

وقال النبى ﷺ : « **بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة** »(٤٩) حديثان صحيحان .

وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « **من فاتته صلاة العصر حبط عمله** » وفى السنن أن رسول الله ﷺ قال : « **من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله** » وقال ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** » متفق عليه .

---

(٤٥) المنافقون : ٩ .

(٤٦) الترمذى : الصلاة ١٨٨ ، وأبو داود : الصلاة ١٤٥ ، وأحمد : الثانى ، ص ٩٠ ، ٤٢٥ ، والرابع ص ٦٥ ، ١٠٣ .

(٤٧) المدثر : ٤٢ — ٤٨ .

(٤٨) رواه أصحاب السنن وغيرهم عن بريدة الأسلمى ، صحيح .

(٤٩) رواه أصحاب السنن وغيرهم عن جابر .

وقال ﷺ : « **من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأُبىّ بن خلف** »[٥٠] وقال عمر رضى الله عنه : أمَا إنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة .

قال بعض العلماء رحمهم الله : وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة ، لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته . فإن اشتغل بماله حشر مع قارون ، وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون ، وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان ، وإن اشتغل بتجارته حشر مع أُبىّ بن خلف تاجر الكفار بمكة . وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من ترك صلاة مكتوبة متعمداً برئت منه ذمة الله عز وجل** » .

وروى البيهقى بإسناده أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أى الأعمال أحب إلى الله تعالى فى الإسلام ؟ قال : « **الصلاة لوقتها ، ومن ترك الصلاة فلا دين له ، والصّلاة عماد الدين** » ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل له : الصلاة ياأمير المؤمنين قال : نعم أما إنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة . وصلى رضى الله عنه وجرحه يثعب[٥١] دما . وقال عبد الله بن شقيق التابعى رضى الله عنه : كان أصحاب رسول الله ﷺ لايرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[٥٢] . وسئل على رضى الله عنه عن امرأة لا تصلى ، فقال : من لم يصل فهو كافر وقال ابن مسعود رضى الله عنه من لم يصل فلا دين له . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من ترك صلاة واحدة متعمداً لقى الله تعالى وهو عليه غضبان . وقال رسول الله ﷺ : « **من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته — أى مايفعل وما يصنع بحسناته — إذا كان مضيعاً**

(٥٠) رواه ابن حبان والطبرانى وأحمد ، وغيرهم .

(٥١) يثعب : يسيل .

(٥٢) رواه الترمذى ، وحسنه ابن القيم .

للصلاة »[٥٣] . وقال ابن حزم : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها ، وقتل مؤمن بغير حق . وقال إبراهيم النخعي : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقال أيوب السختياني مثل ذلك . وقال عون بن عبد الله : إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه ، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله ، وإن لم تجز له لمْ ينظر في شيء من عمله بعد . وقال ﷺ « **إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول : حفظك الله كما حفظتنى . وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة ، فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ، يضرب بها وجه صاحبها ، وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى** »[٥٤] وروى أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لايقبل الله منهم صلاتهم ـــ من تقدم قوماً وهم له كارهون ، ومن استعبد محرراً . ورجل أتى الصلاة دباراً** » والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته . وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً عظيما من أبواب الكبائر** »[٥٥] نسأل الله التوفيق والإعانة ؛ إنه جواد كريم وأرحم الراحمين .

﴿ فصل ﴾ متى يؤمر الصبى بالصلاة ؟

روى أبو داود فى السنن أن رسول الله ﷺ قال : « **مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها** » . وفى رواية : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع** » .

---

(٥٣) أخرجه الطبراني فى الأوسط عن أنس .
(٥٤) أخرجه الطيالسى والبيهقى والطبرانى ، بسند ضعيف .
(٥٥) أخرجه الحاكم والترمذى عن ابن عباس ، بسند ضعيف .

قال الإمام أبو سليمان الخطابى رحمه الله : هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركاً لها .

وكان بعض أصحاب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى يحتج به فى وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ ، ويقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ ، فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ماهو أبلغ من الضرب . وليس بعد الضرب شىء أشد من القتل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله فى حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعى وأحمد رحمهم الله : تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف فى رقبته . ثم اختلفوا فى كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها . فقال إبراهيم النخعى وأيوب السختيانى وعبد الله ابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه : هو كافر . واستدلوا بقول النبى ﷺ : « **العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر** »[٥٦] ، وبقوله ﷺ : « **بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة** »[٥٧] .

﴿فصل﴾ وقد ورد في الحديث: «**إن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات، يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر، ويعطيه كتابة بيمينه، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب** » ومن تهاون بها عاقبه الله بأربع عشرة عقوبة ، خمس فى الدنيا وثلاث عند الموت ، وثلاث فى القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر . فأما اللاتى فى الدنيا : فالأولى : ينزع البركة من عمره ، والثانية : يمحى سيماء الصالحين من وجهه ، والثالثة : كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه ، والرابعة : لايرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة : ليس له حظ فى دعاء الصالحين . وأما اللاتى تصيبه عند الموت : فإنه يموت ذليلا ، والثانية : يموت جائعاً ، والثالثة : يموت عطشانا

(٥٦) سبق تخريجه .
(٥٧) سبق تخريجه .

ولو سقى بحار الدنيا ماروى من عطشه . وأما اللاتى تصيبه فى قبره ، فالأولى : يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، والثانية : يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الجمر ليلا ونهاراً والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع ، وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر ، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح .

فكلما ضربه ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعاً . فلا يزال فى الأرض معذباً إلى يوم القيامة . وأما اللاتى تصيبه عند خروجه من قبره فى موقف القيامة فشدة الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار . وفى رواية : فإنه يأتى يوم القيامة وعلى وجهة ثلاثة أسطر مكتوبات . السطر الأول : يامضيع حق الله ، السطر الثانى : يامخصوصاً بغضب الله ، السطر الثالث : كما ضيعت فى الدنيا حق الله فآيس اليوم من رحمة الله[٥٨] . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر به إلى النار ، فيقول : يارب لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذباً .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه : اللهم لاتدع فينا شقياً ولا محروماً ثم قال ﷺ : أتدرون من الشقى المحروم ؟ قالوا : من هو يارسول الله ؟ قال : « **تارك الصلاة** »[٥٩] .

وروى أنه أول من يسودّ يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة ، وإن فى جهنم وادياً يقال له « الملحم » فيه حيات ، كل حية ثخن رقبة البعير ، طولها مسيرة

---

(٥٨) حديث موضوع ، حكم بوضعه الذهبى نفسه والعسقلانى والسيوطى ، وعزاه فى « ذيل الموضوعات » إلى ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد .

(٥٩) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

﴿ حكاية ﴾ روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت : يارسول الله إنى أذنبت ذنباً عظيما وقد تبت منه إلى الله تعالى ، فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب علىّ : فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يانبى الله إنى زنيت وولدت ولداً فقتلته . فقال لها موسى عليه السلام : اخرجى يافاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل جبريل عليه السلام قال : ياموسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة . ياموسى ، أما وجدت شرًّا منها ؟ قال موسى : ياجبريل ومن شر منها ؟ قال تارك الصلاة عامداً متعمداً .

﴿ حكاية أخرى ﴾ عن بعض السلف أنه أتى أختاً له ماتت ، فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس ، فوجد القبر يشعل عليها ناراً فرد التراب عليها، ورجع إلى أمه باكياً حزيناً فقال: ياأماه أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل ؟ قالت : وماسؤالك عنها ؟ قال : ياأمى رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً . قال : فبكت وقالت : ياولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها . فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها ، فكيف حال من لايصلى ؟ فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها فى أوقاتها ، إنه جواد كريم .

﴿ فصل ﴾فى عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها ، وقد روى فى تفسير قول الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٦٠]إنه الذى ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رجلا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه ، فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبى

(٦٠) الماعون : ٤ ـ ٥ .

ﷺ فرد عليه السلام ، ثم قال له : ارجع فصل فإنك لم تصل . فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد عليه السلام ثم قال : ارجع فصل فإنك لم تصل ، فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد عليه السلام وقال : ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاث مرات . فقال فى الثالثة : والذى بعثك بالحق يارسول الله ماأحسن غيره فعلمنى . فقال ﷺ : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن . ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً . ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، وافعل ذلك فى صلاتك كلها » . وروى الإمام أحمد رضى الله عنه عن البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاتجزىء صلاة لايقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود** » ورواه أبو داود أيضاً والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح . وفى رواية أخرى : « حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود » .

وهذا نص عن النبى ﷺ فى أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان ، فصلاته باطلة ، وهذا فى صلاة الفرض وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو فى موضعه .

وثبت عنه ﷺ أنه قال : « **أشد الناس سرقة الذى يسرق من صلاته . قيل : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لايتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها** »[61] وروى الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « **لاينظر الله إلى رجل لايقيم صلبه بين ركوعه وسجوده** » .

وقال ﷺ : « **تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعاً لايذكر الله فيهما إلا قليلا** » .

---

(٦١) الدارمى : صلاة ٧٨ ، ومالك : سفر ٧٢ . وأحمد : الثالث ، ص ٥٦ . والخامس ص ٣١٠ .

وعن أبى موسى قال : صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه ثم جلس ، فدخل رجل فقام يصلى ، فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله ﷺ : « ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم » ، أخرجه أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مصل إلا وملَك عن يمينه وملَك عن يساره ، فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى ، وإن لم يتمها ضربا بها وجهه »[٦٢] .

وروى البيهقى بسنده عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله ﷺ قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتنى ، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ، ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها . وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة : ضيَّعك الله كما ضيعتنى ، ثم صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة ، فأغلقت دونها أبواب السماء ، ثم تلَفُّ كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » .

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الصلاة مكيال ، فمن وفى وفى له ، ومن طفف فقد علمتم ماقال الله فى المطففين »[٦٣] قال الله تعالى ﴿ ويل للمطففين ﴾ والمطفف : هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة ، وعدهم الله بويل وهو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره ، نعوذ بالله منه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض ؛ فإن الله تعالى أوحى إلىّ أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة ، والأنف ، والكفين ، والركبتين ، وصدور

(٦٢) أخرجه أحمد ومسلم ، عن أنس . عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى الدارقطنى فى الإفراد ، وسنده ضعيف .

(٦٣) رواه أحمد ، وسنده ضعيف .

القدمين ، وأن لاأكف شعراً ولاثوباً ، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته »[٦٤] .

وروى البخارى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه رجلا يصلى ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها ، فقال له حذيفة : صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد ﷺ .

وفى رواية أبى داود أنه قال : منذ كم تصلى هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة . قال : ماصليت منذ أربعين سنة شيئاً ، ولو متّ متّ على غير فطرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم !

وكان الحسن البصرى يقول: ياابن آدم أىّ شىء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ماتسأل عنها يوم القيامة ، كما تقدم من قول النبى ﷺ : **« أول مايحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من الفريضة شىء يقول الله تعالى : انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله كذلك »**[٦٥] .

فينبغى للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ماانتقص من فرائضه وبالله التوفيق .

﴿ فصل ﴾ فى عقوبة تارك الصلاة (فى جماعة) مع القدرة ، قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾[٦٦] .

---

(٦٤) البخارى : أذان ١٣٣ ، ١٣٧ . ومسلم : صلاة ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ . والنسائى : تطبيق ٤٠ ، ٤٣ — ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٨ .

(٦٥) سبق تخريجه .

(٦٦) سورة القلم : ٤٢ — ٤٣ .

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود .

قال إبراهيم التيمى : يعنى إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة ، وقال سعيد بن المسيب : كانوا يسمعون « حى على الصلاة حى على الفلاح » فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون .

وقال كعب الأحبار : والله مانزلت هذه الآية إلا فى الذين تخلفوا عن الجماعة . فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة فى الجماعة مع القدرة على إتيانها ؟ وأما من السنة فما ثبت فى الصخيحين أن رسول الله ﷺ قال : **« لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لايشهدون الصلاة فى الجماعة ، فأحرق بيوتهم عليهم بالنار »** ولا يتوعد بحرق بيوتهم إلا على ترك واجب مع مافى البيوت من الذرية والمتاع .

وفى صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبى ﷺ فقال يارسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد وسأل النبى ﷺ أن يرخص له أن يصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم . قال : فأجب » ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار — أى بعيد الدار — ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال « هل تسمع النداء » ؟ قال : نعم ، قال « فأجب فإنى لا أجد لك رخصة » .

فهذا رجل ضرير البصر شكا مايجد من المشقة فى مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد ، ومع هذا لم يرخص له النبى ﷺ فى الصلاة فى بيته، فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لاعذر له ؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضى

الله عنهما : عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا بجمع ؟ فقال : إن مات على هذا فهو فى النار .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر** » ، قيل: وما العذر يارسول الله ؟ قال : « **خوف أو مرض ـــ لم تقبل منه الصلاة التى صلى ـــ يعنى فى بيته** »(٦٧) .

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجل سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب** » .

وقال على ابن أبى طالب رضى الله عنه : لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد . قيل : ومن جار المسجد ؟ قال : من سمع الأذان .

وروى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً ـــ يعنى يوم القيامة ـــ فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى . ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجىء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة .

وكان الربيع بن خيثم قد سقط شقه فى الفالج ، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين ، فيقال له : يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت

(٦٧) أخرجه ابن حبان والدارقطنى ، وصرح البعض بتضعيفه كما فى المشكاة ، وسوق المؤلف له بصيغة التمريض (روى) فيه إشارة إلى ضعفه .

معذور . فيقول : هو كما تقولون ، ولكن أسمع المؤذن يقول : حى على الصلاة حى على الفلاح ، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفاً أو حبواً فليفعل .

وقال حاتم الأصم : فاتتنى مرة صلاة الجماعة فعزانى أبو إسحاق البخارى وحده ، ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف إنسان ، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا ! .

وكان بعض السلف يقول : مافاتت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه وقال ابن عمر : خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتنى صلاة العصر فى الجماعة . أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضى الله عنه ، والحائط : البستان فيه النخل .

﴿ **فصل** ﴾ : ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد ، فإن النبى ﷺ قال : « **إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ــ يعنى العشاء والفجر ــ ولو يعلمون مافيهما من الأجر لأتوهما ولو حبواً** »(٦٨) .

وقال ابن عمر : كنا إذا تخلف منا إنسان فى صلاة العشاء والصبح فى الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق .

﴿ **حكاية** ﴾ عن عبيد الله بن عمر القواريرى رضى الله عنه قال : لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط ، فنزل بى ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء فى الجماعة ، فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد ، فرجعت إلى بيتى وقلت : قد ورد فى الحديث : إن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت ، فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل وأنا أيضاً على فرس ونحن نستبق ، وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم فالتفت إلىّ

---

(٦٨) البخارى : مواقيت الصلاة ٢٠ ، أذان وأبو داود : صلاة ٤٧ . والنسائى : إمامة ٤٥ . وابن ماجه : مساجد ١٨ .

أحدهم فقال لى : لاتتعب فرسك فلست تلحقنا . قلت : ولم ؟ قال : لأنا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك . فانتهيت وأنا مغموم حزين لذلك ، فنسأل الله المعونة والتوفيق ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الخامسة : منع الزكاة]

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(٦٩) . وقال الله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَايُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾(٧٠) فسماهم المشركين . وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(٧١) .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **مامن صاحب ذهب ولا فضة لايؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار ، فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره . كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى الله بين الناس ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يارسول الله فالإبل ؟ قال : « ولا صاحب إبل لايؤدى منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع** »(٧٢) قرقر أوفر ما كانت ؛ لايفقد منها فصيلا(٧٣) واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله

---

(٦٩) آل عمران : ١٨٠ .
(٧٠) فصلت : ٦ ، ٧ .
(٧١) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .
(٧٢) القاع القرقر : الأرض المستوية الصلبة .
(٧٣) ابن الناقة .

بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار . قيل : يارسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : « **ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عفصاء[٧٤] ولا جلحاء[٧٦] ولا عضباء[٧٦] تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها[٧٧] كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس ، فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار**»[٧٨] .

وقال ﷺ : « **أول ثلاثة يدخلون النار ــ أمير مسلط ، وذو ثروة من مال لايؤدى حق الله تعالى من ماله ، وفقير فخور** »[٧٩] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج ، أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت ، فقال له رجل : اتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار . فقال ابن عباس : سأتلو عليك بذلك قرآناً ، قال الله تعالى :

﴿وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾[٨٠] .

أى أؤدى الزكاة (وأكن من الصالحين) أى أحج . قيل له : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتى درهم وجبت فيه الزكاة ، قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة .

ولا تجب الزكاة فى الحلى المباح إذا كان معدًّا للاستعمال ، فإن كان معدًّا للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة .

---

(٧٤) أى ملتوية القرن .
(٧٥) أى التى لاقرن لها .
(٧٦) أى مكسورة القرن .
(٧٧) ظلف البقرة يقابل حافر الفرس وخف البعير .
(٧٨) أخرجه أحمد ومسلم بهذا التمام ، والنسائى مختصراً .
(٧٩) أخرجه ابن خزيمة عن أبى هريرة .
(٨٠) المنافقون : ١٠ .

وتجب فى قيمة عروض التجارة ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من آتاه الله مالا فلم يؤدّ زكاته مُثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه (أى بشدقيه) فيقول : أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**[٨١] . أخرجه البخارى .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قول الله تعالى فى مانعى الزكاة : (يوم يُحْمَى عليها فى نار جهنم فتُكوَى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) قال : لايوضع دينار على دينار ولادرهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته .

فإن قيل : لِمَ خص الجباه والجنوب والظهور بالكى ؟ قيل : لأن الغنى البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى مابين عينيه وأعرض بجنبه ، فإذا قرب منه ولّى بظهره فعوقب بكيّ هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .

وقال ﷺ : « خمس بخمس » قالوا : يارسول الله وماخمس بخمس ؟ قال : « مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وماحكموا بغير ماأنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وماظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأُخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر »[٨٢] .

(موعظة) قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم إنما فى غد ثبورهم مانفعهم ماجمعوا إذا جاء محذورهم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم . يوم يحمى عليها

---

(٨١) آل عمران : ١٨٠ .

(٨٢) أخرجه الطبرانى عن ابن عباس ، وقال المنذرى : سنده قريب من الحسن وله شواهد . ومعنى قوله « أخذوا بالسنين » : أصيبوا بالقحط . كما أخرجه بنحوه الحاكم وغيره عن ابن عمر بسند صحيح .

فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . أخذ المال إلى دار ضرب العقاب فجعل فى بودقة[83] ليحمى ليقوى العذاب ، فصفح صفائح كى يعم الكى الإهاب ، ثم جىء بمن عن الهدى قد غاب . يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم . ثم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . إذا لقيهم الفقير لقى الأذى .. فإن طلب منهم شيئاً طار منهم لهب الغضب كالجذا[84] . فإن لطفوا به قالوا أعنتكم ذا . وسؤال هذا لذا . ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا . ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا : واعجباً كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . سيأخذها الوارث منهم من غير تعب . ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب مااكتسب ، إلا أن الشوك له وللوارث الرطب . أين حرص الجامعين ، أين عقولهم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . لو رأيتهم فى طبقات النار . يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار . وقد غلت اليمين مع اليسار لما بخلوا مع الإيسار . لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم . وقد ضج صبورهم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . كم كانوا يوعظون فى الدنيا ومافيهم من يسمع . كم خوفوا من عقاب الله ومافيهم من يفزع . كم أنبئوا بمنع الزكاة ومافيهم من يدفع . فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع . فما هى عصى موسى ولا طورهم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

(حكاية) : روى عن محمد بن يوسف الفريابى قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابى فى زيارة أبى سنان رحمه الله ، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه ، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل ، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه ، فجلسنا نسليه ونعزيه وهو

---

(83) أى الوعاء الذى تصهر فيه المعادن .

(84) الجذا : جمع جذوة ، وهى الجمرة الملتهبة .

لايقبل تسلية ولا تعزية ، فقلنا : أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه ! قال : بلى ولكن على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب ، فقلنا له : هل أطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا ، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس ، جلست عند قبره ، إذا صوت من قبره يقول : آه أقعدونى وحيداً أقاسى العذاب ، قد كنت أصلى ، قد كنت أصوم . قال : فأبكانى كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله ، وإذا القبر يشتعل عليه ناراً ، وفى عنقه طوق من نار ، فحملتنى شفقة الأخوة ، ومددت يدى لأرفع الطوق عن رقبته ، فاحترقت أصابعى ويدى ثم أخرج إلينا يده ، فإذا هى سوداء محترقة . قال : فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه ؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل فى الدنيا ؟ قال : كان لايؤدى الزكاة من ماله ، قال فقلنا هذا تصديق قول الله تعالى :

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٨٥] .

وأخوك عجل له العذاب فى قبره إلى يوم القيامة . قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل ، وقلنا له : يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك ! قال : أولئك لاشك أنهم فى النار . وإنما يريكم الله فى أهل الإيمان لتعتبروا . قال الله تعالى :

﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ . وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾[٨٦] . فنسأل الله العفو والعافية ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة السادسة : إفطار يوم رمضان بلا عذر]

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ

(٨٥) آل عمران : ١٨٠ .
(٨٦) الأنعام : ١٠٤ . وتمامها ﴿ وماأنا عليكم بحفيظ ﴾

فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[٨٧] .

وثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « **بُنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان** » .

وقال ﷺ : « من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه » .[٨٨] وعن ابن عباس رضى الله عنهما « عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة ، وصوم رمضان » فمن ترك واحدة منهن فهو كافر . نعوذ بالله من ذلك .

[الكبيرة السابعة : فى ترك الحج مع القدرة عليه]

قال الله تعالى : ﴿ **وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ﴾[٨٩] .

وقال النبى ﷺ : « **من ملك زاداً وراحلة تبلِّغه حج بيت الله الحرام ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديًّا أو نصرانيًّا** »[٩٠] ، وذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة[٩١] ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وماهم بمسلمين .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مامن أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقيل له : إنما يسأل الرجعة الكفار . قال : وإن ذلك

---

(٨٧) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٨٨) البخارى : صوم ٢٩ ، وأبو داود : صوم ٣٨ ، والترمذى : صوم ٢٧ ، والدارمى : صوم ١٨ ، وأحمد : الثانى ص٤٥٨ ، ٤٧٠ .

(٨٩) آل عمران : ٩٧ .

(٩٠) الترمذى : حج ٣ . وقال : غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقى من حدبث أبى أمامة .

(٩١) الجدة (بكسر ففتح) : وجود المال .

فى كتاب الله تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموتُ فيقولَ رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدَّق** ﴾ أى أؤدى الزكاة (وأكن من الصالحين) أى أحج (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) قيل : فبم تجب الزكاة ؟ قال : بمائتى درهم وقيمتها من الذهب ، قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : مات لى جار موسر لم يحج فلم أصلِّ عليه .

[الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين]

قال الله تعالى : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إلّا إيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً** ﴾ اى برًّا بهما وشفقة وعطفاً عليهما : ﴿ **إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ أى لاتقل لهما بتبرم إذا كَبرا وأسنَّا . وينبغى أن تتولى خدمتهما ماتوليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوى ، وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك ، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما . ثم قال الله تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً** ﴾[٩٢] . وقال الله تعالى : ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إلَيَّ المَصِيرُ** ﴾ .

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره . قال ابن عباس رضى الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لاتقبل منها واحدة بغير قرينتها (إحداها) قول الله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ . فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . (الثانية) قول الله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه . (الثالثة) قول الله تعالى ﴿ **أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير** ﴾[٩٣] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه . ولذا

(٩٢) الإسراء : ٢٣ — ٢٤ .
(٩٣) لقمان : ١٤ .

قال النبى ﷺ : « **رِضى الله فى رضى الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين** »[94] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء رجل يستأذن النبى ﷺ فى الجهاد معه ، فقال النبى ﷺ : « **أحىٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد** » مخرج فى الصحيحين ، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد !

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين** » . فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك . وفى الصحيحين أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « **لايدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر** » . وعنه ﷺ قال : « **لو علم الله شيئاً أدنى من الأف لنهى عنه ، فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة . وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار** »[95] . وقال ﷺ « **لعن الله العاق لوالديه** »[96] . وقال ﷺ : « **لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه** »[97] . وقال ﷺ : « **كل الذنوب يؤخر الله منها ماشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه** »[98] يعنى العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رحمه الله : إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب ، وإن الله ليزيد فى عمر العبد إذا كان بارًّا بوالديه ليزيده برًّا وخيراً ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا . فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله إن أبى يريد أن يجتاح مالى . فقال ﷺ : « **أنت ومالك لأبيك** »[99] وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ماهو ؟ قال : هو

(٩٤) الترمذى : بر ٣ . وغيره .
(٩٥) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس . وجزم السيوطى بوضعه .
(٩٦) أخرجه الطبرانى بنحوه فى حديث طويل أوله : « لعن الله سبعة من فوق سبع سموات ... » .
(٩٧) أحمد : الأول ، ص ١٠٨ ، ٢١٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ .
(٩٨) أخرجه الأصبهانى والحاكم ، عن أبى بكرة ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .
(٩٩) ابن ماجه : تجارات ٦٤ ، وأحمد : الثانى ص ١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ . كما أخرجه آخرون ، وله طرق كثيرة ، انظرها فى الإمام السخاوى : المقاصد الحسنة ، دراسة وتحقيق : الاستاذ / محمد عثمان الخشت حديث رقم ١٩٦

إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما ، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما ، وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما ، وإذا ائتمناه خانهما .

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن أصحاب الأعراف من هم وما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار ، وإنما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار ، وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون ، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا فى الجهاد ، فمنعهم القتل فى سبيل الله عن دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة ، فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره .

وفى الصحيحين « أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله من أحق الناس منى بحسن الصحبة ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك ، ثم الأقرب فالأقرب » . فحض على بر الأم ثلاث مرات ، وعلى بر الأب مرة واحدة . وما ذاك إلا لأن عناها أكثر وشفقتها أعظم ، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل .

رأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة . فقال : يا ابن عمر أترانى جازيتها ؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيراً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ظلماً . والعاق والديه ، إلا أن يتوبوا** »[100] . وقال : « **الجنة تحت أقدام الأمهات** »[101] ، وجاء رجل إلى أبى الدرداء رضى الله عنه

(100) أخرجه الحاكم ، وصححه . ولكن قال المنذرى : فيه إبراهيم بن خيثم بن عراك وهو متروك .

(101) أحمد ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم فى مستدركه ، من حديث ابن جريج . انظر : المقاصد الحسنة للإمام السخاوى ، بتحقيق الأستاذ : محمد عثمان الخشت ، حديث رقم ٧٧٣ .

فقال : ياأبا الدرداء إنى تزوجت امرأة وإن أمى تأمرنى بطلاقها . فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضعْ ذلك الباب أو احفظه** »[١٠٢] وقال ﷺ « **ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده** »[١٠٣]

وقال ﷺ : « **الخالة بمنزلة الأم** »[١٠٤] أى فى البر والإكرامَ والصلة والإحسان . وعن وهب بن منبه قال : إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه ياموسى وقر والديك ، فإن من وقر والديه مددت فى عمره ووهبت له ولداً يوقره ، ومن عق والديه قصرت فى عمره ووهبت له ولداً يعقه .

وقال أبو بكر بن مريم : قرأت فى التوراة أن من يضرب أباه يقتل . وقال وهب : قرأت فى التوراة : على من صك والده الرجم .

وعن عمرو بن مرة الجهنى قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس ، وصمت رمضان ، وأديت الزكاة ، وحججت البيت ، فماذا لى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه** »[١٠٥] . وقال ﷺ : « **لعن الله العاق والديه** »[١٠٦] وجاء عن رسول الله ﷺ قال : « **رأيت ليلة أسرى بى أقواماً فى النار معلقين فى جذوع من نار فقلت : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا** »[١٠٧] .

---

(١٠٢) الترمذى : بر ٣ ، وابن ماجه : طلاق ٣٦ ، وأدب ١ . وأحمد : الخامس ص ١٩٦ ، والسادس ص٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ .

(١٠٣) الترمذى : برّ ٧ ، وابن ماجه : دعاء ١١ ، وأحمد : الثانى ص ٢٥٨ ، ٣٠٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٦٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥ ، ٤٧٨ ، ٥١٧ ، ٥٢٣ .

(١٠٤) البخارى : صلح ٦ ، وأبو داود : طلاق ٣٥ ، والترمذى : برّ ٦ ، والدارمى : فرائض ٣٨ .

(١٠٥) أخرجه الطبرانى وغيره ، وسنده صحيح .

(١٠٦) سبق تخريجه .

(١٠٧) لم نقف على من خرجه فيما بين أيدينا من مصادر .

وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه فى قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض . ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه وأشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزانى والعاق لوالديه .

وقال بشر مامن رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله والنظر إليها أفضل من كل شىء ، وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان فى صبى لهما فقال الرجل : يارسول الله ولدى خرج من صلبى وقالت المرأة : يارسول الله حمله خفًا ووضعه شهوة وحملته كرهاً ووضعته كرهاً وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه[108] .

(موعظة) : أيها المضيع لآكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين العقوق ، الناسى لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين. وأنت تتعاطاه باتباع الشين[109] تطلب الجنة بزعمك ، وهى تحت أقدام أمك . حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج[110] . وكابدت عند الوضع مايذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبناً ، وأطارت لأجلك وسنا[111] ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذاء ، وصيرت حجرها لك مهداً ، وأنالتك إحساناً ورفداً[112] ، فإن أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً ، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً . فلما احتاجت عند الكبر إليك ، جعلتها من

---

(108) أبو داود : طلاق ٣٥ ، بنحوه .
(109) أى العيب .
(110) أى سنوات .
(111) أى نعاساً .
(112) أى عطاء .

أهون الأشياء عليك ، فشبعت وهى جائعة ورويت وهى قانعة . وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير. وطال عليك عمرها وهو قصير هجرتها ومالها سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفف[113] ، وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف . ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين ، وفى أخراك بالبعد من رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ :[114]

لأمك حق لو علمت كثير	كثيرك ياهذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى	لها من جواها[115] أنة وزفير
وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة	فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها	وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها	ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حناناً وإشفاقاً وأنت صغير
فآهاً لذى عقل ويتبع الهوى	وآهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب فى عميم دعائها	فأنت لما تدعو إليه فقير

حكى أنه كان فى زمن النبى ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد فى طاعة الله ، فى الصلاة والصوم والصدقة ، فمرض واشتد مرضه ، فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ أن زوجى علقمة فى النزع ، فأردت أن أعلمك يارسول الله بحاله فأرسل النبى ﷺ عماراً وصهيباً وبلالا وقال : امضوا إليه ولقنوه الشهادة فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه فى النزع ، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) ولسانه لاينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لاينطق لسانه بالشهادة . فقال النبى ﷺ : هل من أبويه أحد حى ؟ قيل :

---

(113) أى التضجر .

(114) الحج : 10 .

(115) الجوى : الحرقة من شدة الحب والوحدة .

يارسول الله أمٌّ كبيرة السن ، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول : قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقرّى فى المنزل[116] حتى يأتيك . قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت : نفسى لنفسه فداء ؛ أنا أحق بإتيانه . فتوكأت وقامت على عصا ، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : ياأم علقمة أصدقينى وإن كذبتى جاء الوحى من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة ؟ قالت : يارسول الله كثير الصلاة ، كثير الصيام كثير الصدقة قال رسول الله ﷺ فما حالك ؟ قالت : يارسول الله أنا عليه ساخطة . قال : ولِمَ ؟ قالت : يارسول الله كان يؤثر علىّ زوجته ويعصينى فقال رسول الله ﷺ : إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة . ثم قال يابلال انطلق واجمع لى حطباً كثيراً قالت يارسول وما تصنع ؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك قالت : يارسول الله ولدى لايحتمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدى . قال : ياأم علقمة عذاب الله أشد وأبقى ، فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه فو الذى نفسى بيده لاينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة . فقالت يارسول الله إنى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت عن ولدى علقمة . فقال رسول الله ﷺ : انطلق يابلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول : لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى . فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول (لا إله إلا الله) فدخل بلال فقال : ياهؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ، وإن رضاها أطلق لسانه . ثم مات علقمة من يومه ، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ، ثم قام على شفير قبره وقال : يامعشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب

(116) أى ابقى فى المنزل .

رضاها ، فرضى الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها[١١٧] . فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه ، وأن يجنبنا سخطه ؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

[الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب]

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[١١٨] أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها . وقال الله تعالى : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ﴾[١١٩] . وقال الله تعالى : ﴿ **الَّذِين يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَاأَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** ﴾[١٢٠] . وقال الله تعالى : ﴿ **يُضِلُّ بِهِ** ﴾ أى بالقرآن ﴿ **كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾[١٢١] .

أعظم ذلك مابين العبد وبين الله ماعهده الله على العبيد .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة قاطع رحم** » . فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنيًّا وهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد ، محروم من دخول الجنة ، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم . وقد ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة . وإن كان**

---

(١١٧) فى تصدير المؤلف لتلك القصة بصيغة التمريض (حكى) إشارة إلى ضعفها . وقام ابن الجوزى بوضعها ، وأشار المنذرى لضعفه الشديد .

(١١٨) النساء : ١ .

(١١٩) محمد : ٢٢ — ٢٣ .

(١٢٠) الرعد : ٢٠ — ٢١ .

(١٢١) البقرة : ٢٦ — ٢٧ .

فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لأحوالهم » لقول النبى ﷺ « **صلوا أرحامكم ولو بالسلام** »[١٢٢] .

وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه** »[١٢٣] .
وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى من إذا قطعت رحمه وصلها** »[١٢٤] .

وقال ﷺ : **يقول الله تعالى** « **أنا الرحمن وهى الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته** »[١٢٥] . وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه قال لولده : يابنى لاتصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال : أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة ، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها . فقالت له عمته : ماجاء بك ياابن أخى فقال : إنى جلست إلى أبى هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال : أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فقالت له عمته : ارجع إلى أبى هريرة واسأله لم ذلك فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ فقال أبو هريرة : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم** »[١٢٦] .

وحكى أن رجلا من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام ، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسوماً بالأمانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات ، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات ، فسأل أهله

---

(١٢٢) أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة ، ورجال ثقات .
(١٢٣) أخرجه البخارى فى الأدب ، ومسلم فى البر ، وأحمد فى المسند .
(١٢٤) البخارى : أدب ١٥ ، والترمذى : برّ ١٠ .
(١٢٥) البخارى : أدب ١٣ ، وأحمد : السادس ، ص ٦٢ .
(١٢٦) أخرج الأصبهانى نحوه ، والطبرانى آخره فقط . وهو حديث موضوع .

عن ماله ، علم أنه لم يكن لهم به علم . فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له : إذا كان نصف الليل فائتِ زمزم وانظر فيها ، وناد : يافلان باسمه . فإن كان من أهلِ الجنة فسيجيبك بأول مرة ، فمضى الرجل ونادى فى زمزم فلم يجبه أحد ، فجاء إليهم وأخبرهم فقالوا : (إن لله وإنا إليه راجعون) . نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار ، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال : إنه على فم جهنم فانظر فيه بالليل ، وناد : يافلان فإن كان من أهل النار فسيجيبك منها ، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها ، فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى : يافلان ، فأجابه فقال : أين ذهبى ؟ قال دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ، ولم آتمن عليه ولدى ، فائتهم واحفر هناك تجده . فقال له : ما الذى أنزلك ها هنا وكنا نظن بك الخير ؟ فقال : كان لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله سبحانه بسببها وأنزلنى الله هذه المنزلة .

وتصديق ذلك فى الحديث الصحيح قوله ﷺ : « **لايدخل الجنة قاطع** »[127] يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب ، فنسأل الله التوفيق لطاعته ، إنه جواد كريم .

[الكبيرة العاشرة : الزنــا]

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى :

﴿ **وَلَا تقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾[128] . وقال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ . وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ، إِلَّا مَنْ تَابَ** ﴾[129] . وقال الله تعالى : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ** .

(١٢٧) مسلم : البر ١٨ ، ١٩ . وأحمد : الثانى ص ٤٨٤ ؛ والثالث ص ١٤ ، ٨٣ ؛ والرابع ص٣٩٩ .
(١٢٨) الإسراء : ٣٢ .
(١٢٩) الفرقان : ٦٨ ــ ٧٠ .

اللهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٣٠] .

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزانى فى الدنيا ، إذا كانا عزبين غير متزوجين . فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة فى العمر ، فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا كذلك ثبت فى السنة عن النبى ﷺ . فإن لم يستوف القصاص منهما فى الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان فى النار بسياط من نار .

كما وَرد أن فى الزبور مكتوباً : إن الزناة معلقون بفروجهم فى النار يضربون عليها بسياط من حديد ، فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية : أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى منه ؟!

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن** »[١٣١] . وقال ﷺ : « **إذا زنى العبد خرج منه الإيمان ، فكان كالظلة على رأسه ، ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان** »[١٣٢] .

وقال ﷺ : « **من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه** »[١٣٣] وفى الحديث النبوى قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر** »[١٣٤] .

---

(١٣٠) النور : ٢ .
(١٣١) ابن ماجه : فتن ٣ . وغيره .
(١٣٢) أبو داود : سنة ١٥ . وغيره .
(١٣٣) أخرجه الحاكم وغيره عن أبى هريرة .
(١٣٤) النسائى : زكاة ٧٧ ، وأحمد : الثانى ، ص ٤٣٣ ؛ والخامس ص ١٥٣ .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، أى الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » . فقلت : إن ذلك لعظيم ، ثم أى ؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » . قلت : ثم أى ؟ قال : « **أن تزنى بحليلة جارك ــ يعنى زوجة جارك ــ** » فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك .

﴿ والذين لا يَدْعُون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يَلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة وَيَخْلُدْ فيه مهاناً إلا من تاب ﴾[١٣٥] .

فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله عز وجل إلا بالحق ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين .

وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ الذى رواه سمرة بن جندب ، وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال : انطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع ، فيه لغط وأصوات . قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا ــ أى صاحوا من شدة حره ــ فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الزناة والزوانى ــ يعنى من الرجال والنساء ، فهذا عذابهم إلى يوم القيامة . نسأل الله العفو والعافية .

وعن عطاء فى تفسير قول الله تعالى عن جهنم (لها سبعة أبواب) . قال : أشد تلك الأبواب غمًّا وحرًّا وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم . وعن مكحول الدمشقى قال : يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون : ماوجدنا أنتن من هذه الرائحة فيقال لهم : هذه ريح فروج الزناة . وقال ابن زيد : أحد أئمة التفسير إنه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة . وفى العشر الآيات التى

(١٣٥) سبق تخريجه . والآيتان ٦٨ ــ ٧٠ من سورة الفرقان .

كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزن فأحجب عنك وجهى ، فإذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغيره ؟!

وجاء عن النبى ﷺ **« إن إبليس يبث جنوده فى الأرض ويقول لهم : أيكم أضل مسلماً ألبسته التاج على رأسه ، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة ، فيجىء إليه أحدهم فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، فيقول : ماصنعت شيئاً ، سوف يتزوج غيرها ، ثم يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة ، فيقول : ماصنعت شيئاً سوف يصالحه ، ثم يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زنى ، فيقول إبليس : نعم مافعلت . فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه »**[١٣٦] ، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء ، فإذا زنى العبد نزع الله منه سربال الإيمان ، فإن تاب رده عليه »**[١٣٧] ، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : **« يامعشر المسلمين اتقوا الزنا ؛ فإن فيه ست خصال ، ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة ، فأما التى فى الدنيا : فذهاب بهاء الوجه ، وقصر العمر ، ودوام الفقر وأما التى فى الآخرة : فسخط الله تبارك وتعالى ، وسوء الحساب ، والعذاب بالنار »**[١٣٨] . وعنه ﷺ أنه قال : **« من مات مصرًّا على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجرى فى النار من فروج المومسات »**[١٣٩] يعنى الزانيات ، يجرى من فروجهن قيح وصديد فى النار ، ثم يسقى ذلك لمن مات مصرًّا على شرب الخمر .

---

(١٣٦) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وسنده ضعيف .
(١٣٧) أخرجه البيهقى عن أبى هريرة ، وسنده ضعيف .
(١٣٨) أخرجه أبو نعيم عن حذيفة ، وسنده ضعيف ، وأورد ابن الجوزى فى الموضوعات .
(١٣٩) أخرجه ابن حبان والحاكم ، عن أبى موسى الأشعرى .

وقال رسول الله ﷺ : « مامن ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى فرج لا يحل له »[١٤٠] ، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : **« فى جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير ، تلسع تارك الصلاة ، فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ، ثم يتهرى لحمه . وإن فى جهنم وادياً اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة فى كل شوكة راوية سم ، ثم تضرب الزانى وتفرغ سمها فى جسمه ، يجد مرارة وجعها ألف سنة ، ثم يتهرى لحمه ، ويسيل من فرجه القيح والصديد »[١٤١] .**

وروى أيضاً : أن من زنى بامرأة كانت متزوجة ، كان عليها وعليه فى القبر نصف عذاب هذه الأمة ، فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها فى حسناته ، هذا إن كان بغير علمه ، فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة ، لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث . وهو الذى يعلم الفاحشة فى أهله ويسكت ولايغار .

وورد أيضاً : أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، فإن قبّلها قرضت شفتاه فى النار ، فإن زنى بها نطقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة ، وقالت : أنا للحرام ركبت ، فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب ، فيقع لحم وجهه فيكابر ، ويقول : مافعلت فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لايحل نطقت ، وتقول يداه : أنا للحرام تناولت ، وتقول عيناه أنا للحرام نظرت ، وتقول رجلاه : أنا لما لايحل مشيت ، ويقول فرجه : أنا فعلت ، ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ويقول الآخر : وأنا كتبت ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وسترت . ثم يقول الله تعالى ياملائكتى خذوه ومن عذابى أذيقوه ، فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه منى ، وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل :

---

(١٤٠) أخرجه الطبرانى بسند ضعيف .
(١٤١) لم نقف على من خرجه فى المصادر التى بين أيدينا .

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١٤٢]

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم . وقد صحح الحاكم : « من وقع على ذات محرم فاقتلوه » ، وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرّس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمِّس ماله[١٤٣] . فنسأل الله المنان[١٤٤] بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الحادية عشرة : اللواط]

قد قص الله عز وجل علينا فى كتابه العزيز قصة قوم لوط فى غير موضع ، من ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾[١٤٥] . أى من طين طُبِخ حتى صار كالآجُرّ ، (مَنْضُودٍ) أى يتلو بعضه بعضاً ، (مُسَوَّمَةً) أى معلَّمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ، (عِنْدَ رَبِّكَ) أى فى خزائنه التى لايتصرف فى شيء منها إلا بإذنه ، (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)[١٤٥] ماهى من ظالمى هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ماحل بأولئك من العذاب .

ولهذا قال النبى ﷺ : « **أخوف ماأخاف عليكم عمل قوم لوط** »[١٤٦] ولعن من فعل فعلهم ثلاثاً فقال « **لعن الله من عمل عمل قوم لوط** »[١٤٧] وقال عليه الصلاة والسلام « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** »[١٤٨] . قال ابن عباس رضى الله عنهما ينظر أعلى بناء فى القرية ، فيلقى منه ، ثم يتبع بالحجارة ، كما فعل بقوم لوط .

(١٤٢) النور : ٢٤ .
(١٤٣) أخرجه الترمذى وغيره .
(١٤٤) المنان : المُنعم
(١٤٥) هود : ٨٢ ، ٨٣ .
(١٤٦) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .
(١٤٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة .
(١٤٨) أخرجه أبو داود : حدود ٢٨ ، والترمذى : حدود ٢٤ ، وابن ماجه : حدود ١٢ ، وأحمد : الأول ، ص ٢٦٩ .

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التى حرم الله تعالى :

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَاخَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[149] أى مجاوزون من الحلال إلى الحرام .

وقال الله تعالى فى آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام :

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾[150] .

وكان اسم قريتهم سدوم ، وكان أهلها يعملون الخبائث التى ذكرها الله سبحانه فى كتابه ، كانوا يأتون الذكران من العالمين فى أدبارهم ويتضارطون فى أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط ـ تصفيف الشعر ، وحل الأزرار ، ورمى البندق ، والحذف بالحصى ، واللعب بالحمام الطيارة ، والصفير بالأصابع ، وفرقعة الأكعب ، وإسبال الإزار ، وحل أزر الأقبية ، وإدمان شرب الخمر ، وإتيان الذكور ، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **سحاق النساء بينهن زنا** »[151] ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى** » قيل : من هم يارسول الله ؟ قال : « **المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الذكر يعنى اللواط** »[152] وروى « أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى وتكاد السماوات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل » .

---

(١٤٩) الشعراء : ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(١٥٠) الانبياء : ٧٤ .
(١٥١) أخرجه الطبرانى عن واثلة بن الأسقع ، وسنده ضعيف .
(١٥٢) أخرجه البيهقى والطبرانى عن أبى هريرة ، وسنده ضعيف .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ويقول : ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به ـ يعنى اللواط ، وناكح البهيمة ، وناكح الأم وابنتها ، وناكح يده إلا أن يتوبوا** »[١٥٣] .

وروى أن قوماً يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى مَن الزنا كانوا يعيشون في الدنيا بمذاكيرهم . وروى أن من أعمال قوم لوط : اللعب بالنرد ، والمسابقة بالحمام ، والمهارشة بين الكلاب ، والمناطحة بين الكباش ، والمناقرة بالديوك ، ودخول الحمام بلا مئزر ، ونقص الكيل والميزان . ويل لمن فعلها .

وفي الأثر : (من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر) . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إنه إذا مات من غير توبة فإنه يمسخ في قبره خنزيراً .

وقال ﷺ : « **لاينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة في دبرها** »[١٥٤] قال أبو سعيد الصعلوكي : سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم : اللوطيون ، وهم على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا ، لما صح عن النبى ﷺ أنه قال : « **زنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا اليد البطش ، وزنا الرجل الخطى ، وزنا الأذن الاستماع ، والنفس تمنّى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه** »[١٥٥] . ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم ، قال الحسن بن ذكوان : لاتجالسوا أولاد الأغنياء ؛ فإن لهم صوراً كصور العذارى ، فهم أشد فتنة من النساء ، وقال بعض

(١٥٣) أخرجه الديلمي فى مسند الفردوس ، وسنده ضعيف .

(١٥٤) الترمذى : رضاع ١٢ ، وابن ماجه : نكاح ٢٩ ، وأحمد : الثالى ، ص ٣٤٤ .

(١٥٥) أحمد : الثالى ، ص ٢٧٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، ٤١١ ، ٤٣١ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ . والبخارى : استئذان ١٢ ، قدر ٩ . ومسلم : قدر حديث ٢٠و٢١ . وأبو داود : نكاح ٤٣ .

التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه ، وكان يقال : لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد ، وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة؛ لأن النبي ﷺ قال : « **ماخلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما** »(١٥٦) وفي المردان من يفوق النساء بحسنه ، فالفتنة به أعظم ، وإنه يمكن في حقه من الشر مالا يمكن في حق النساء ، ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر مالا يتمهل فى حق المرأة ، فهو بالتحريم أولى ، وأقاويل السلف فى التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم « الأنتان » لأنهم مستقذرون شرعاً ، وسواء في كل ماذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره . ودخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه صبى حسن الوجه فقال : أخرجوه عنى أخرجوه ، فإنى أرى مع كل امرأة شيطاناً ، وأرى مع كل صبى حسن بضعة عشر شيطاناً .

وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبى حسن ، فقال الإمام : ماهذا منك ؟ قال : ابن أختى . قال : لاتجىء به إلينا مرة أخرى ، ولا تمش معه في طريق ؛ لئلا يظن بك من لايعرفك ولا يعرفه سوءاً .

وروى أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبى ﷺ كان فيهم أمرد حسن ، فأجلسه النبى ﷺ خلف ظهره وقال : « **إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر** »(١٥٧) . وأنشدوا شعراً :

كل الحوادث مَبداها من النظر	معظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلّبها	فى أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ماضر خاطره	لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وكان يقال : النظر بريد الزنا ، وفى الحديث : النظر سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة .

---

(١٥٦) أخرجه أحمد والترمذى ، وغيرهما .

(١٥٧) هذا حديث منكر ــ كما قال الزركشى ــ فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع . وقد رواه الديلمى فى الفردوس .

(**فصل**) في عقوبة من أمكن من نفسه طائعاً : عن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه كتب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه وجد فى بعض النواحى رجلا ينكح فى دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضى الله عنهم فى أمره فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم لوط ، وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم ، أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر إليه أن أحرقه بالنار ، فأحرقه خالد رضى الله عنه .

وقال على رضى الله عنه : من أمكن من نفسه طائعاً حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيما فى قبره إلى يوم القيامة .

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطى مجرم ، ومما روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر فى سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفىء عنه ، فانقلبت النار صبيًّا وانقلب الرجل ناراً فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك ، وقال : يارب ردهما إلى حالهما فى الدنيا لأسألهما عن خبرهما ، فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبى ، فقال لهما عيسى عليه السلام : ماخبركما ؟ فقال الرجل : ياروح الله إنى كنت فى الدنيا مبتلى بحب هذا الصبى فحملتنى الشهوة أن فعلت به الفاحشة ، فلما أن مت ومات الصبى صير ناراً يحرقنى مرة وأصير ناراً أحرقه مرة فهذا عذابنا إلى يوم القيامة ، نعوذ بالله من عذاب الله ، ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

(**فصل**) ويلتحق باللواط إتيان المرأة فى دبرها مما حرمه الله تعالى ورسوله ، قال الله عز وجل : ﴿ **نساؤكمْ حرث لكم فأْتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾ أى كيف شئتم مقبلين ومدبرين فى صمام واحد ، أى موضع واحد . وسبب نزول هذه الآية أن اليهود فى زمن النبى ﷺ كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قُبلها جاء الولد أحول ، فسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾ مجبية أو غير مجبية غير أن ذلك فى صمام واحد ، أخرجه مسلم .

وفى رواية : اتقوا الدبر والحيضة ، وقوله فى صمام واحد ، أى فى موضع واحد وهو الفرج : لأنه موضع الحرث ، أى موضع مزرع الولد ، وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر . وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ **ملعون من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها** ﴾[١٥٨] .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد** » . فمن جامع امرأته وهى حائض ، أو جامعها فى دبرها فهو ملعون ، وداخل فى هذا الوعيد الشديد ، وكذا إذا أتى كاهناً ، وهو المنجم . ومن يدعى معرفة الشىء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شىء منها فصدقه .

وكثير من الجهال واقعون فى هذه المعاصى ، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ، ولذلك قال أبو الدرداء : كن عالماً أو متعلماً أو مستعلماً أو محبًّا ولا تكن الخامس فتهلك ، وهو الذى لايعلم ولايتعلم ولايستمع ولايحب من يعمل ذلك . ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا . ويسأل الله العفو عما مضى منه فى جهله ، والعافية فيما بقى من عمره . اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، إنك أرحم الراحمين .

[الكبيرة الثانية عشرة : الربــا]

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[١٥٩] . وقال الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ أى لايقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه (ذَٰلِكَ) أى ذلك الذى أصابهم ﴿ **بِأَنَّهُم قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾[١٦٠] .

(١٥٨) أبو داود : نكاح ٤٥ . وأحمد : الثانى ، ص ٤٤٤ ، ٤٧٩ .
(١٥٩) آل عمران : ١٣٠ .
(١٦٠) البقرة : ٢٧٥ .

أى حلالا فاستحلوا ماحرم الله ، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع ، كلما قام صرع ؛ لأنهم لما أكلوا الربا الحرام فى الدنيا أرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة ، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ، ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون .

وقال قتادة : إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً ، وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم ، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ، قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا . قال : فيقبلون مثل الإبل المنهومة لايسمعون ولايعقلون ، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون ، فيردونهم مقبلين ومدبرين . فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة . قال ﷺ « فقلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس »**(١٦١) .

وفى رواية قال : **« لما عرج بى سمعت فى السماء السابعة فوق رأسى رعداً وصواعق ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة الربا »**(١٦٢) .

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله بهلاكها . وعن عمر مرفوعاً : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم »(١٦٣) .

---

(١٦١) أخرجه البيهقى فى « دلائل النبوة » ، وهو ضعيف .
(١٦٢) أخرجه الأصبهانى وابن ماجه وغيرهما ، وهو ضعيف أيضاً .
(١٦٣) أخرجه الطبرانى والبيهقى عن ابن عمر .

وقال ﷺ : « **ماظهر فى قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولاظهر فى قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، ومابخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر** »(١٦٤) .

وجاء فى حديث فيه طول : « **إن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة فى النهر الأحمر الذى هو مثل الدم ، ويلقم الحجارة** » ، وهو المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذى جمعه فى الدنيا هذا العذاب له فى البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له . كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أربعة حق على الله أن لايدخلهم الجنة ولايذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه ، إلا أن يتوبوا** »(١٦٥) .

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت ، فحفروا لها حياضاً تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد . فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير . وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل ؛ فإن الله لاتخفى عليه حيل المحتالين . قال أيوب السختيانى : يخادعون الله كما يخادعون صبيا ، ولو أتوا الأمر عياناً كان أهون عليهم . وقال ﷺ : « **الربا سبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم** »(١٦٦) فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا .

وعن أنس قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال : « **الدرهم الذى يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية فى**

---

(١٦٤) أخرجه الحاكم والبزار ، وقال الحاكم : على شرط مسلم .
(١٦٥) لم نقف عليه بهذا اللفظ والسياق فيما بين أيدينا من مصادر ، ولكن له شواهد .
(١٦٦) أخرجه الحاكم بنحوه ، والطبرانى فى الأوسط .

الإسلام »[١٦٧] وعنه ﷺ قال : « **الربا سبعون حُوباً أدونها كوقع الرجل على أمه وفى رواية أهونها كالذى ينكح أمه** »[١٦٨] والحوب : الإثم .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : الزائد والمستزيد فى النار — يعنى الآخذ والمعطى فيه سواء نسأل الله العافية .

(**فصل**) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا . وقال الحسن رحمه الله : إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت . وهذا من قوله ﷺ : « **كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا** »[١٦٩] وقال ابن مسعود أيضاً : من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهى سحت ، وتصديقه من قوله ﷺ : « **من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها ، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا** » أخرجه أبو داود . فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

[الكبيرة الثالثة عشر : أكل مال اليتيم وظلمة]

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً** ﴾[١٧٠] . وقال الله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلّا بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** ﴾[١٧١] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى المعراج : « **فإذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم . فقلت : ياجبريل**

---

(١٦٧) أخرجه الطبرانى فى الكبير .

(١٦٨) أخرجه البيهقى عن أبى معشر . وهو بنحو هذا اللفظ عند ابن ماجه عن أبى هريرة .

(١٦٩) أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده ، انظر المقاصد الحسنة للإمام السخاوى ، دراسة وتحقيق الاستاذ : الخشت .

(١٧٠) النساء : ١٠

(١٧١) الأنعام : ١٥٢ .

من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً » . رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يبعث الله عز وجل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم ناراً ، فقيل : من هم يارسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾**[١٧٢] .

وقال السدى رحمه الله تعالى : يحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه ، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم .

قال العلماء : فكل ولى ليتيم إذا كان فقيراً ، فأكل من ماله بالمعروف ، بقدر قيامه عليه فى مصالحه وتنمية ماله ، فلا بأس عليه ، وما زاد على المعروف فسحت حرام لقول الله تعالى :
﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[١٧٣] .

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال : (أحدها) : أنه الأخذ على وجه القرض . (والثانى) : الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف ، و(الثالث) : أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملا ، (والرابع) : أنه الأخذ عند الضرورة ، فإن أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو فى حل . وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزى فى تفسيره .

وفى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « **أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا** » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما . وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قال : كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة » وأشار بالسبابة والوسطى .

---

(١٧٢) النساء : ١٠ . والحديث أخرجه ابن حبان عن أبى برزة الأسلمى .
(١٧٣) النساء : ٦ .

كفالة اليتيم : هى القيام بأموره ، والسعى فى مصالحه ، من طعامه وكسوته وتنمية ماله ، إن كان له مال ، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى وقوله فى الحديث : له أو لغيره — أى سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبياً منه ، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه ، والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة .

وقال رسول الله ﷺ : « **من ضم يتيما من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنباً لايغفر** »(١٧٤) . وقال ﷺ : « **من مسح راس يتيم لا يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده لحسنة ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا فى الجنة** »(١٧٥) .

وقال رجل لأبى الدرداء رضى الله عنه : أوصنى بوصية . قال : ارحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكى قسوة قلبه ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن أردت أن يلين قلبك فأدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك** »(١٧٦) .

ومما حكى عن بعض السلف قال : كنت فى بداية أمرى مكبًّا على المعاصى وشرب الخمر ، فظفرت يوماً بصبى يتيم فقير ، فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه ، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر ، فبت ليلة بعد ذلك ، فرأيت فى النوم أن القيامة قامت ودعيت إلى الحساب ، وأمر بى إلى النار لسوء ماكنت عليه من المعاصى ، فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونى سحباً إلى النار ، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق ، وقال : خلوا عنه ياملائكة ربى حتى أشفع له

(١٧٤) الترمذى : بر ١٤ . وغيره .
(١٧٥) أخرجه الطبرانى عن أبى أمامة ، وقال الهيثمى : وفيه على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف .
(١٧٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير بنحوه .

عند ربى ، فإنه قد أحسن إلىَّ وأكرمنى فقالت الملائكة : إنا لم نؤمر بذلك ، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت له ماكان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه . قال : فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل ، وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام ، ولهذا قال أنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله ﷺ : خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه ، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو أرملة . وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : ياداود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج الشفيق ، واعلم كما تزرع كذا تحصده : معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك ، أى لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة . وقال داود عليه السلام فى مناجاته : إلهى ماجزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى . معناه ظل عرشى يوم القيامة .

ومما جاء فى فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين — وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا فى سعة ونعمة ، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة ، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء ، واتفق خروجها فى شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ، ومضت تحتال لهم فى القوت فمرت بجمعين : جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع على رجل مجوسى وهو ضامن البلد . فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له وقالت : أنا امرأة علوية ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة ، وأريد الليلة قوتهم . فقال لها أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة . فقالت : أنا امرأة غريبة مافى البلد من يعرفنى فأعرض عنها ، فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها ، وأخبرته أن معها بنات أيتاماً وهى امرأة شريفة غريبة ، وقصت عليه ماجرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه ،

وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام ، وألبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده فى نعمة وكرامة . قال : فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبى ﷺ ، وإذا قصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان ، فقال : يارسول الله لمن هذا القصر ؟ قال لرجل مسلم موحد . فقال : يارسول الله أنا رجل مسلم موحد . فقال رسول الله ﷺ : أقم عندى البينة أنك مسلم موحد . قال : فبقى متحيراً فقال له ﷺ لما قصدتك المرأة العلوية قلت : أقيمى عندى البينة أنك علوية ، فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم : فانتبه الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة ، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسى ، فأرسل إليه فأتاه فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها . فقال : ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم مالحقنى . قال : خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىّ ، فقال : لاأفعل . فقال : لابد منهن . فقال : الذى تريده أنت أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى . أتُدِلّ علىَّ بالإسلام ؟ فوالله مانمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك ، وقال لى رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك ؟ قلت : نعم يارسول الله قال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمناً فى الأزل . قال : فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة مالا يعلمه إلا الله . فانظر ــ رحمك الله ــ إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا !

ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله** » . قال الراوى : أحسبه قال : (وكالقائم لايفتر وكالصائم لايفطر) ، والساعى عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه ؛ إنه جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

[الكبيرة الرابعة عشرة : الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ]

قال الله عز وجل :

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾(١٧٧) .

قال الحسن : هم الذين يقولون : إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل . قال ابن الجوزى فى تفسيره : وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض ، وإنما الشأن فى الكذب عليه فيما سوى ذلك .

وقال ﷺ : **« من كذب عليّ بنى له بيت فى جهنم »** ، وقال ﷺ : **« من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »**(١٧٨) . وقال ﷺ : **« من روى عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »**(١٧٩) .

وقال ﷺ : **« إن كذبا عليّ ، ليس ككذب على غيرى ، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »**(١٨٠) . وقال ﷺ : **« من يقل عنى مالم أقله فليتبوأ مقعده من النار »**(١٨١) . وقال ﷺ : **« يطبع المؤمن على كل شىء إلا الخيانة والكذب »**(١٨٢) نسأل الله التوفيق والعصمة ، إنه جواد كريم .

[الكبيرة الخامسة عشر : الفرار من الزحف]

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة وإن بعدت ، قال الله تعالى :

---

(١٧٧) الزمر : ٦٠ .
(١٧٨) أخرجه الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم .
(١٧٩) أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما .
(١٨٠) أخرجه الشيخان .
(١٨١) أخرجه ابن ماجه وأحمد .
(١٨٢) أخرجه الطبرانى والبيهقى وغيرهما .

﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(١٨٣) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » . قالوا : وماهن يارسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وَأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »(١٨٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت :
﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مائَتَيْنِ ﴾(١٨٥)
فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت :
﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ . وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(١٨٦) .

فكتب أن لايفر مائة من مائتين . رواه البخارى .

[الكبيرة السادسة عشرة : غش الإمام الرعية وظلمه لهم]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١٨٧) . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فيه الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾(١٨٨) . وقال الله تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ

(١٨٣) الأنفال : ١٦ .
(١٨٤) سبق تخريجه .
(١٨٥) الأنفال : ٦٥ .
(١٨٦) الأنفال : ٦٦ .
(١٨٧) الشورى : ٤٢ .
(١٨٨) إبراهيم : ٤٢ ــ ٤٣ .

يَنْقَلِبُونَ ﴾[189] . وقال الله تعالى : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[190] .

وقال رسول الله ﷺ : « **من غشنا فليس منا** »[191] ، وقال عليه السلام : « **الظلم ظلمات يوم القيامة** »[192] . وقال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** »[193] . وقال رسول الله ﷺ : « **أيما راع غش رعيته فهو فى النار** »[194] ، وقال ﷺ : « **من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة** » . أخرجه البخارى وفى لفظ : « يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة »[195] .

وقال ﷺ : « **ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه ، فإن قال : ألقه ألقاه فهوى فى جهنم أربعين خريفاً** » . رواه الإمام أحمد . وقال رسول الله ﷺ : « **ويل للأمراء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء . ليتبين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شىء** »[196] .

وقال ﷺ : « **ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط** »[197] . وقال ﷺ : « **مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه إما أطلقه عدله أو أوبقه جوره** » .

---

(189) الشعراء : 227 .
(190) المائدة : 79 .
(191) مسلم : إيمان 164 ، وأبو داود : بيوع 50 ، والترمذى : بيوع 72 ، وابن ماجه : تجارات 36 ، والدارمى : بيوع 10 ، وأحمد : الثانى ص 50 ، 242 ، 417 ، والثالث ص 466 ، والرابع هى 45 .
(192) أخرجه الشيخان وغيرهما .
(193) أخرجه الشيخان أيضاً .
(194) أخرجه الطبرانى فى (الصغير) و(الأوسط) عن أنس .
(195) أخرجه الحاكم وغيره ، وقال : صحيح الإسناد .
(196) أخرجه أحمد وابن حبان عن عائشة .
(197) أخرجه البيهقى فى السنن عن أبى أمامة .

ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال : « اللهم من ولى من أمر هذه الأمة شيئاً فرفق بهم فارفق به . ومن شقّ عليهم فاشقق عليه »[١٩٨] . وقال ﷺ : « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره »[١٩٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء فسقة جورة ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ، ولن يرد على الحوض »[٢٠٠] وقال رسول الله ﷺ : « صنفان من أمتى لن تنالهم شفاعتى : سلطان ظلوم غشوش ، وغال فى الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم »[٢٠١] . وقال عليه السلام : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر »[٢٠٢] . وفى الحديث : أن رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم . إن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ، ثم عمهم بالبلاء »[٢٠٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد »[٢٠٤] « ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلا »[٢٠٥] وفى الحديث أيضاً « من لايَرحم لايُرحم ، لا يرحم الله من لايرحم الناس »[٢٠٦] . وقال ﷺ : « الإمام العادل

(١٩٨) أخرجه مسلم : الإمارة ١٩ .
(١٩٩) أخرجه أبو داود : الإمارة ١٣ ، وأحمد : الخامس ص ٢٣٩ .
(٢٠٠) أخرجه أحمد والترمذى عن كعب بن عجزة وجابر ، وسنده صحيح .
(٢٠١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، عن أبى أمامة ومعقل بن يسار .
(٢٠٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وأبو يعلى ، والطبرانى فى الأوسط ، عن الخدرى .
(٢٠٣) أخرجه الأصبهانى عن ابن عمر ، وسنده ضعيف جداً .
(٢٠٤) أخرجه البخارى : اعتصام ٢٠ ، بيوع ٦٠ ، صلح ٥ . ومسلم : أقضية ١٧ ، ١٨ . وأبو داود : سنة ٥ . وابن ماجه : مقدمة ٢ . وأحمد : الثانى ، ١٤٦ .
(٢٠٥) أخرجه الشيخان وغيرهما عن أنس .
(٢٠٦) هذا القول ليس حديثاً واحداً ، وإنما هو حديثان أدمجهما المؤلف فى حديث واحد . أما الأول فهو قوله : « من لايرحم لايرحم » . وقد رواه الشيخان وغيرهما . وأما الثانى فهو : « من لايرحم الناس لايرحمه الله » وقد رواه الشيخان وغيرهما أيضاً .

يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله »[٢٠٧] . وقال : « **المقسطون على منابر من نور ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماوّلوا »**[٢٠٨] .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن قال : « **إياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب** » رواه البخارى ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة : فذكر منهم الملك الكذاب »**[٢٠٩] ، وقال : « **إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة** » رواه البخارى . وفيه أيضا « **وإنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه »**[٢١٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « **ياكعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء ، أمراء يكونون من بعدى لايهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى »**[٢١١] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ، ومن غلب جوره عدله فله النار »**[٢١٢] .

وقال : « **ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة »**[٢١٣] . وقال عمر لأبى ذر رضى الله عنهما : حدثنى بحديث سمعته من رسول الله ، فقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه ، فإن كان مطيعاً لله فى عمله مضى به ، وإن كان عاصياً لله فى عمله انخرق به**

---

(٢٠٧) أخرجه البخارى : أذان ٣٦ ، زكاة ١٦ رقاق ٢٤ ، حدود ١٩ . ومسلم : زكاة ١ . والترمذى : زهد ٥٣ . والنسائى : قضاة ومالك : شعر ٤ . وأحمد : الثانى ٤٣٩ . وذلك فى ضمن حديث : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله ... » .

(٢٠٨) أخرجه النسائى وأحمد ومسلم ، عن عبد الله بن عمرو .

(٢٠٩) أخرجه النسائى ومسلم عن أبى هريرة .

(٢١٠) أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبى موسى الأشعرى .

(٢١١) أخرجه ابن حبان والبزار عن جابر .

(٢١٢) أخرجه أبو داود : أقضية ٢ .

(٢١٣) سبق تخريجه .

الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاماً » . فقال عمر : من يطلب العمل بها يا أبا ذر ؟ قال : « من سلّم لله أنفه وألصق خده بالتراب »[٢١٤] .

وقال عمرو بن المهاجر ، قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : إذا رأيتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلبابى ثم قل : ياعمر ماتصنع .

ياراضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم ، السجن جهنم والحق الحاكم ، ولا حجة لك فيما تخاصم ، القبر مهول فتذكر حبسك ، والحساب طويل فخلص نفسك ، والعمر كيوم فبادر شمسك ، تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتمرح بآمالك والسير حثيث . إن الظلم لايترك منه قدر أنملة . فإذا رأيت ظالماً قد سطا فنم له ، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة أى قروح فى الجسد .

[الكبيرة السابعة عشر : الكبر]

الكبر والفخر والخيلاء والعُجب والتيه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾[٢١٥] . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[٢١٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « بينما رجل يتبختر فى مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام « يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان »[٢١٨] وقال بعض السلف : « أول ذنب عصىَ الله به الكبر » قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكافِرِينَ ﴾[٢١٩] .

---

(٢١٤) أخرجه الطبرانى وابن أبى الدنيا بنحوه ، وسنده ضعيف .

(٢١٥) غافر : ٢٧ (٢١٦) النحل : ٢٣ .

(٢١٧) أخرجه البخارى : أنبياء ٥٤ ، لباس ومسلم : لباس ٤٩و٥٠ . والترمذى : قيامة ٤٧ . والنسائى : زينة ١٠١ . والدارقطنى مقدمة ٤٠ . وأحمد : الثانى ، ص ٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٦٧ ، ٣١٥ ، ٣٩٠ ، ٤١٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٧ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٥٣١ ، والثالث ص ٤٠ .

(٢١٨) أخرجه الترمذى وأحمد وغيرهما . (٢١٩) البقرة : ٣٤ .

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس .

وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **لايدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال ذرة من كبر** » رواه مسلم . وقال الله تعالى : ﴿ **إن الله لايحب كل مختال فخور** ﴾[٢٢٠] وقال ﷺ : قال الله تعالى : « **العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار** » رواه مسلم . المنازعة : المجاذبة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « **اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : مالى مايدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار : أوثرت بالجبارين والمتكبرين** » الحديث[٢٢١] ، وقال الله تعالى : ﴿ **ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً . إن الله لايحب كل مختال فخور** ﴾[٢٢٢] أى لاتمل خدك معرضاً متكبراً . والمرح التبختر .

وقال سلمة بن الأكوع : « أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله ، قال : « **كل بيمينك** » ، قال : لاأستطيع ، فقال : « **لا استطعت ، مامنعه إلا الكِبْر فما رفعها إلى فيه بعد** » رواه مسلم وقال عليه الصلاة والسلام « **ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر** »[٢٢٣] . العتل : الغليظ الجافى ، والجواظ : الجموع المنوع ، وقيل : الضخم المختال فى مشيته ، وقيل البطين .

عن ابن عمر رضى الله عنهما : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مامن رجل يختال فى مشيته ويتعاظم فى نفسه إلا لقى الله وهو عليه غضبان** »[٢٢٤] وصح من حديث أبى هريرة : « **أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط أى ظالم ، وغنى لايؤدى الزكاة ، وفقير فخور** »[٢٢٥] . وفى صحيح

---

(٢٢٠) لقمان : ١٨ .
(٢٢١) أخرجه البخارى : تفسير سورة ٥٠ باب ١ . ومسلم : جنة ٣٥ ، ٣٦ . وأحمد : الثانى ، ٣١٤ .
(٢٢٢) لقمان : ١٨ .
(٢٢٣) أخرجه الشيخان وغيرهما .
(٢٢٤) أخرجه الحاكم وأحمد وغيرهما .
(٢٢٥) أخرجه ابن حبان وابن خزيمة .

البخارى عن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » والمسبل هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه ﷺ قال : « **ما أسبل من الكعبين من الإزار فهو فى النار** »[٢٢٦] .

وأشرُّ الكِبْر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم فى نفسه بفضيلته ؛ فإن هذا لم ينفعه علمه ؛ فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه ، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها ، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم ، فهذا من أكبر الكبر ، ولايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العظيم .

[الكبيرة الثامنة عشر : شهادة الزور]

قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ** ﴾[٢٢٧] الآية . وفى الأثر : (عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين)[٢٢٨] . وقال الله تعالى : ﴿ **وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾[٢٢٩] .

وفى الحديث : « **لاتزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار** »[٢٣٠] .

قال المصنف رحمه الله تعالى : شاهد الزور قد ارتكب عظائم (أحدها) الكذب والافتراء . قال الله تعالى :

﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾[٢٣١] .

---

(٢٢٦) أخرجه ابن ماجه وأحمد وغيرهما .

(٢٢٧) الفرقان : ٧٢ .

(٢٢٨) أخرجه أبو داود والترمذى عن أيمن ابن خريم وعن خريم بن فاتك مرفوعاً وسنده ضعيف .

(٢٢٩) الحج : ٣٠ .

(٢٣٠) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

(٢٣١) غافر : ٢٨ .

وفى الحديث : « **يطبع المؤمن على كل شىء ليس الخيانة والكذب** »[٢٣٢] (وثانيها) أنه ظلم الذى شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه .

(وثالثها) : أنه ظلم الذى شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار ، وقال ﷺ : « **من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار** »[٢٣٣] (ورابعها) : أنه أباح ماحرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض . قال رسول الله ﷺ : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور .. فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت** » رواه البخارى . فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء .

[الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر]

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ﴾[٢٣٤] .

قد نهى عز وجل فى هذه الآية عن الخمر وحذر منها ، وقال النبى ﷺ :« **اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث** »[٢٣٥] فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله . قال الله تعالى :

﴿ **وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾[٢٣٦] .

---

(٢٣٢) سبق تخريجه .
(٢٣٣) أخرجه مسلم : أقضية ٤ . والبخارى : حيز ١٠ . وأبو داود : أقضية ٧ . والترمذى : أحكام ١١ . والنسائى : قضاة ١٣ ، ٣٣ . وابن ماجه : أحكام ٥ :
(٢٣٤) المائدة : ٩٠ — ٩١ .
(٢٣٥) أخرجه البيهقى فى الشعب ، والحاكم ، عن ابن عباس .
(٢٣٦) النساء : ١٤ .

· وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجُعلت عِدلاً للشرك .

وذهب عبد الله بن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر ، وهى بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها فى غير حديث . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ . « **كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها فى الآخرة** » رواه مسلم ، وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال . قيل : يارسول الله وماطينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار** » .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من شرب الخمرة فى الدنيا يحرمها فى الآخرة** » .

(ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن) : رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **مدمن الخمر كعابد وثن** » .

(ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة) روى النسائى من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **لايدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر** » وفى رواية : « **ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة ، مدمن الخمر والعاق لوالديه ، والديوث وهو الذى يقر السوء فى أهله** » .

(ذكر أن السكران لايقبل الله منه حسنة) روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لاتقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو** »[٢٣٧] .

---

(٢٣٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى الشعب ، وسنده ضعيف .

والخمر ماخامر العقل أى غطاه سواء كان رطباً أو يابساً أو مأكولا ، أو مشروباً وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **لايقبل الله لشارب الخمر صلاة مادام فى جسده شىء منها** »[٢٣٨] . وفى رواية « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً ، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ، فإن تاب ثم عاد كان حقًّا على الله أن يسقيه من مُهْل جهنم »[٢٣٩] . وقال رسول الله ﷺ : « **من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة ، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا أربعين ليلة ، فإن مات فيها مات كعابد وثن ، وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال ، قيل : يارسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار : القيح والدم** »[٢٤٠] .

وقال عبد الله بن أبى أوفى : من مات مدمناً للخمر مات كعابد اللات والعزى . قيل : أرأيت مدمن الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها ، قال : لا ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين .

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها : عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « **لايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد** » . أخرجه البخارى وفى الحديث : « **من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه** »[٢٤١] وفيه : « **من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً ومن شربها مصبحاً أمسى مشركاً** »[٢٤٢] . وفيه عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن** »[٢٤٣] . وروى الإمام أحمد من

(٢٣٨) عزاه الحافظ المنذرى إلى ابن عمر موقوفاً ، وذكره فى اللآلىء المصنوعه عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً .
(٢٣٩) أخرجه ابن ماجه والترمذى وأحمد بنحوه .
(٢٤٠) أخرجه الحاكم وابن حبان مختصراً .
(٢٤١) أخرجه الحاكم .
(٢٤٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .
(٢٤٣) أخرجه الطبرانى ، وهو ضعيف .

حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **لايدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ، ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات أى الزانيات يؤذى أهل النار ريح فروجهن** » .

وقال رسول الله ﷺ « **إن الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين ، بعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية ، وأقسم ربى تعالى بعزته لايشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من عبيدى من مخافتى إلا سقيته إياها فى حظائر القدس مع خير الندماء** »(٢٤٤) .

(ذكر من لعن فى الخمر) : روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها » . ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أتانى جبريل عليه السلام فقال : يامحمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها** » .

(ذكر النهى عن عيادة شَرَبة الخمر إذا مرضوا وكذلك لايسلم عليهم) : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : (لاتعودوا شرّاب الخمر إذا مرضوا) . قال البخاري ، وقال ابن عمر لا تسلموا على شَرَبة الخمر ، وقال ﷺ : « **لاتجالسوا شرّاب الخمر ولاتعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم ، وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه ، مدلعاً لسانه على صدره ، يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر** »(٢٤٥)

قال بعض العلماء : إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم فى قوله : لعن الله الخمور وشاربها

(٢٤٤) أخرجه البيهقى . وسنده ضعيف

(٢٤٥) اخرجه ابن عدى بسند ضعيف ، وأورده ابن عراق وابن الجوزى فى الموضوعات . ومدلعاً : مخرجا .

الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين ، وإن سقاها لغيره كان ملعوناً ثلاث مرات ، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه .

(ذكر أن الخمر لا يحل التداوى بها) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : اشتكت ابنة لى فنبذت لها فى كوز ، فدخل علىّ رسول الله ﷺ وهو يغلى ، فقال : ماهذا ياأم سلمة ؟ فذكرت له أنى أداوى به ابنتى فقال رسول الله ﷺ **« إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها »**[٢٤٦] .

(ذكر أحاديث متفرقة رويت فى الخمر) : من ذلك ماذكره أبو نعيم فى « الحلية » عن أبى موسى رضى الله عنه ، قال : أتى النبى ﷺ بنبيذ فى جرة له نشيش فقال : **« اضربوا بهذا الحائط فإن هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر »** .

وقال رسول الله ﷺ : **« من كان فى صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدى الله تبارك وتعالى فيخاصمه ، ومن خاصمه القرآن خصم . فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة »**[٢٤٧] وجاء عن النبى ﷺ : **« مامن قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله فى النار ، فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، يقول أحدهم للآخر : يافلان لاجزاك الله عنى خيراً فأنت الذى أوردتنى هذا المورد ، ويقول له الآخر مثل ذلك »**[٢٤٨] ، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : **« من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه فى الإناء قبل أن يشربها ، فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها**

(٢٤٦) أخرجه أبو يعلى والبيهقى فى السنن .
(٢٤٧) لم نقف عليه .
(٢٤٨) لم نقف عليه أيضاً .

والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء فى إثمها ، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوماً ولا حجًّا حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقًّا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام »[٢٤٩] .

ويدخل فى قوله ﷺ كل مسكر خمر : الحشيشة كما سيأتى الكلام عليها — إن شاء الله تعالى . روى « أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال ، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السماوات من حرها » نعوذ بالله منها .

(ذكر الآثار عن السلف فى الخمر) : ذكر ابن مسعود رضى الله عنه قال : إذا مات شارب الخمر فادفنوه ، ثم اصلبوه على خشبة ، ثم انبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوباً : وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لاينطق بها ، فكررها عليه فقال لا أقولها وأنا برىء منها ، فخرج الفضيل من عنده وهو يبكى ، ثم رآه بعد مدة فى منامه وهو يسحب به إلى النار ، فقال له : يامسكين بم نزعت منك المعرفة ؟ فقال : يااستاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء فقال لى تشرب فى كل سنة قدحاً من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك ، فكنت أشربها فى كل سنة لأجل التداوى ! فهذا حال من يشربها للتداوى فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة ، فسألت أهليهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر

---

(٢٤٩) لم نقف عليه بتمامه ، بيدان الجزء الأخير منه : « كل مسكر خمر ... » جاء عند : مسلم : أشربه ٧٣ ، وأبى داود أشربه ٥ ، والترمذى : أشربة ١ ، وابن ماجه أشربة ٩ . وأحمد : الثانى ، ص ١٦ ، ٢٩ ، ٣١ ، ١٠٥ ، ١٣٤ ، ١٣٧ .

فى الدنيا وماتوا من غير توبة . وقال بعض الصالحين : مات لى ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه . فقلت : ياولدى دفنتك وأنت صغير فما الذى شيبك ؟ فقال : يا أبتى دفن إلى جانبى رجل ممن كان يشرب الخمر فى الدنيا . فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها ، نعوذ بالله منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة .

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة فيلقى فى النار ، نعوذ بالله منها .

(فصل) والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها ، كما يحد شارب الخمر وهى أخبث من الخمر ، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد . والخمر أخبث من جهة أنها تفضى إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين فى حدها ، ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً وليس كذلك بل أكلتها ينتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر ، حتى لايصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها ، مع مافيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك . لكن لما كانت جامدة مطعومة ـــ ليست شرباً ـــ تنازع العلماء فى نجاستها على ثلاثة أقوال فى مذهب الإمام أحمد وغيره ، فقيل : هى نجسة كالخمر المشروبة ، وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا ، لجمودها ، وقيل يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال : فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى ، قال أبو موسى : يارسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن « البتع » وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، و« المزر » وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد .

قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه ، فقال ﷺ : « **كل مسكر حرام** » رواه مسلم ، وقال ﷺ : « **ما أسكر كثيره فقليله حرام** »[٢٥٠] ، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولا أو مشروباً ، على أن الخمر قد يصطنع بها يعنى الخبز ، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب ، والخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تشرب وتؤكل ، وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضى وإنما حدثت فى مجىء التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل فى وصفها شعراً :

فآكلها وزارعها حلالا   فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله مافرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها الأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا   عشت فى أكلها بأقبح عيشه
قيمة المرء جوهر فلماذا   ياأخا الجهل بعته بحشيشه

(حكاية) : عن عبد الملك بن مروان : أن شابا جاء إليه باكياً حزيناً فقال : ياأمير المؤمنين إنى ارتكبت ذنباً عظيما فهل لى من توبة ؟ قال وما ذنبك ؟، قال : ذنبى عظيم . قال وماهو فتب إلى الله تعالى ؛ فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . قال : ياأمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أمورا عجيبة . قال : ومارأيت ؟ قال ياأمير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه ، وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول فى القبر : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة ؟ فقلت : لماذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفًا بالصلاة . هذا جزاء مثله . ثم نبشت قبرا فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه ، فخفت

---

(٢٥٠) أبو داود : أشربة ٥ ، والترمذى : أشربة ٣ ، والنسائى : أشربة ٢٥ ، وابن ماجه : أشربة ١٠ ، والدارمى : أشربة ٨ ، وأحمد الثانى ٩١ ، ١٦٧ ، ١٧٩ ؛ والثالث ٣٤٣ .

منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لى : ألا تسأل عن عمله ولماذا يعذب ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة . والثالث ياأمير المؤمنين نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار وأخرج لسانه من قفاه ، فخفت ورجعت ، وأردت الخروج فنوديت : ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان لايتحرز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله . والرابع ياأمير المؤمنين نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارا فخفت منه وأردت الخروج ، فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟ فقلت وما حاله ؟ فقال : كان تاركا للصلاة . والخامس ياأمير المؤمنين نبشت قبرا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع ، والميت نائم على سرير ، وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتنى منه هيبة ، وأردت الخروج فقيل لى : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة . فقلت : لماذا أكرم ؟ فقيل لى لأنه كان شابا طائعاً نشأ فى طاعة الله عز وجل وعبادته فقال عبد الملك عند ذلك : إن فى هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين . فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة ، جعلنا الله وإياكم من الطائعين ، وجنبنا أفعال الفاسقين ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة العشرون : القمار]

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[٢٥١] .

والميسر هو القمار بأى نوع كان : نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غيره ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذى

---

(٢٥١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ .

نهى الله عنه بقوله : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ ، وداخل فى قول النبى ﷺ : « **إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة** »[٢٥٢] ، وفى صحيح البخارى : إن رسول الله ﷺ قال : « **من قال : لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق** » ، فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل ؟!

(فصل) : اختلف العلماء فى النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن ، اتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى لحم الخنزير ودمه**» أخرجه مسلم. وقال ﷺ : « **من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله** »[٢٥٣] . وقال ابن عمر رضى الله عنه : اللعب بالنرد قمار كالدهن بوَدَك الخنزير .

قال : وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها ، سواء كان برهن أو بغيره أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف ، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضاً قمار حرام عند أكثر العلماء ، وحكى إباحته فى رواية عن الشافعى : إذا كان فى خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة فى وقتها . وسئل النووى رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز ؟ فأجاب رحمه الله تعالى : هو حرام عند أكثر أهل العلم . وسئل أيضاً رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا ، وهل يأثم اللاعب بها أم لا ؟ أجاب رحمه الله : إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام ، وإلا فمكروه عند الشافعى وحرام عند غيره ، وهذا كلام النووى فى فتاويه .

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين فى قول الله تعالى : ﴿ **حُرِّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ﴾ إلى قوله ﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام** ﴾[٢٥٤] قال

---

(٢٥٢) أخرجه البخارى عن خولة بنت قيس زوج حمزة .

(٢٥٣) أخرجه أبو داود : أدب ٥٦ ، وابن ماجه : أدب ٤٣ ، ومالك : رؤيا ٦ ، وأحمد : الرابع ص ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ .

(٢٥٤) المائدة : ٣ .

سفيان ووكيع بن الجراح : هى الشطرنج ، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الشطرنج ميسر الأعاجم . ومرّ رضى الله عنه على قوم يلعبون بها فقال : ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفى خير له من أن يمسسها . ثم قال : والله لغير هذا خلقتم . وقال أيضا رضى الله عنه : صاحب الشطرنج أكذب الناس : يقول أحدهم : قتلت : وماقتل . ومات وما مات . وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه : لايلعب بالشطرنج إلا خاطىء . وقيل لإسحاق بن راهويه : أترى فى اللعب بالشطرنج بأساً ؟ فقال : البأس كله فيه . فقيل له : إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب ، فقال : هو فجور ، وسئل محمد ابن كعب القرظى عن اللعب بالشطرنج فقال : أدنى مايكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة أو قال : يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل .

وسئل ابن عمر رضى الله عنهما عن الشطرنج ، فقال : هى أشرّ من النرد وتقدم الكلام عن تحريمه . وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال : الشطرنج من النرد . بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مالا ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فأحرقها . ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم . ولكن لما كان اللعب بها حراماً أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد فى مال اليتيم وجبت إراقته كذلك الشطرنج . وهذا مذهب حبر الأمة رضى الله عنه . وقيل لإبراهيم النخعى ماتقول فى اللعب بالشطرنج ؟ فقال : إنها ملعونة .

وروى أبو بكر الأثرم فى جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال : « **إن لله فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب ــ يعنى لاعب الشطرنج لأنه يقول شاه مات** » . وروى أبو بكر الآجرى بإسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام : النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم ، فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده**

فأحدق بهم ، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده ، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ، ولأنهم يكذبون عليها فيقولون : شاه مات » ؛ وروى عنه ﷺ أنه قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه يعنى صاحب الشطرنج ألا تراه يقول : قتلته ، والله مات ، والله افترى ، وكذب على الله »[٢٥٥] .

وقال مجاهد : مامن ميت يموت إلا مُثِّل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له : قل لا إله إلا الله فقال : شاهك ثم مات ، فغلب على لسانه ماكان يعتاده حال حياته فى اللعب ، فقال عوض كلمة الإخلاص : شاهك . وهذا كما جاء فى إنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر : إنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال له : اشرب واسقنى ثم مات فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم . وهذا كما جاء فى حديث مروى : (يموت كل إنسان على ماعاش عليه ويبعث على مامات عليه)[٢٥٦] . فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لامبدلين ولامغيرين ولا ضالين ولا زائغين ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات]

قال الله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**[٢٥٧] . وقال الله تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحصنَاتِ ثُمَّ لَمْ يأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبداً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾**[٢٥٨] .

---

(٢٥٥) كل الأحاديث التى فيها ذكر الشطرنج لم يصح منها شىء ، قال الحافظ المنذرى : وقد ورد ذكر الشطرنج فى أحاديث لاأعلم لشىء منها إسناداً صحيحاً ولا حسناً .

(٢٥٦) أخرجه مسلم : الجنة برقم ٨٣ ، بلفظ « يبعث كل عبد على مامات عليه » .

(٢٥٧) النور : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢٥٨) النور : ٤ .

بيَّن الله تعالى فى هذه الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون فى الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم ، وعليه فى الدنيا الحد ثمانون جلدة ، وتسقط شهادته وإن كان عدلا . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يازانية . أو ياباغية . أو ياقحبة ، أو يقول لزوجها : يازوج القحبة ، أو يقول لولدها : ياولد الزانية أو يا ابن القحبة . أو يقول لبنتها يابنت الزانية أو يابنت القحبة . فإن القحبة عبارة عن الزانية ، فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل : يازانى ، أو قال لصبى حر ياعلق ، أو يامنكوح ، وجب عليه الحد ثمانون جلدة ، إلا أن يقيم بينة بذلك ، والبينة كما قال الله : أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل ، فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذى قذفه ، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه : يازانى أو لجاريته يازانية أو ياباغية أو ياقحبة ، لما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال** » . وكثير من الجهال واقعون فى هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوبة فى الدنيا والآخرة ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها يزلّ بها فى النار مما بين المشرق والمغرب** » . فقال له معاذ ابن جبل : يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « **ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟** » . وفى الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[٢٥٩] . وقال الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿**ماَ يَلفِظُ مِن قَوْلٍ**

---

(٢٥٩) أخرجه البخارى : أدب ٣١ ، ٨٥ ، رقاق ٢٣ . ومسلم : إيمان ٧٤ ، لقطة ١٤ . وأبو داود أدب ١٢٣ . والترمذى : قيامة ٥٠ . ومالك : صفة النبى ٢٢ . وأحمد : الثانى ، ص ١٧٤ ، ٢٦٧ ، ٤٣٣ . والرابع ، ص ٣١ ؛ والخامس ، ص ٢٤٧ ؛ والسادس ٦٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

إلّا لدَيْهِ رقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٢٦٠] وقال عقبة بن عامر : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ، وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسى »[٢٦١] .

وقال ﷺ : « **إن أبغض الناس إلى الله الفاحش البذىء الذى يتكلم بالفحش وردىء الكلام** »[٢٦٢] ، وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم .

[الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة]

وهى من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى :

﴿ **إنَّ الله لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾[٢٦٣] . وقال الله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ** ﴾[٢٦٤] .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، قال : « **لا ألفين[٢٦٥] أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[٢٦٦] يقول : يارسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[٢٦٧] فيقول : يارسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغاء[٢٦٨] يقول : يارسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على**

(٢٦٠) ق : ١٨ .
(٢٦١) أخرجه ابن أبى الدنيا وغيره .
(٢٦٢) أخرج أحمد نحوه : « إن الله لايحب كل فاحش متفحش » .
(٢٦٣) الأنفال : ٥٨ .
(٢٦٤) آل عمران : ١٦١ .
(٢٦٥) لاألفين : لا أجدنّ .
(٢٦٦) الرغاء : صوت الجمل .
(٢٦٧) الحمحمة : صوت الفرس .
(٢٦٨) الثغاء : صوت الشاة .

رقبته نفس لها صياح فيقول : يارسول الله أغثنى فأقول لاأملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . لاألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يارسول الله أغثنى ، فأقول : لاأملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . لاألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ، فيقول : يارسول الله أغثنى فأقول لاأملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك » . أخرج هذا الحديث مسلم .

(قوله) : على رقبته رقاع تخفق ـــ أى ثياب وقماش ، (قوله) : على رقبته صامت أى من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئاً من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال بغير إذن الإمام ، أو من الزكاة التى تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته ، كما ذكر الله تعالى فى القرآن ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾[٢٦٩] .

ولقول النبى ﷺ : « **أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة** »[٢٧٠] . ولقول النبى ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم ، وقال : هذا لكم وهذا أهدى لى ، فصعد النبى ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال : « **والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله ، فلا أعرف رجلاً منكم لقى الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يده ﷺ فقال : « اللهم هل بلغت ؟ »**[٢٧١] .

وعن أبى هريرة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً ، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادى (يعنى وادى القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بنى جذام (يدعى رفاعة بن يزيد من بنى الضبيب) ، فلما نزلنا (الوادى) قام عبد رسول

---

(٢٦٩) آل عمران : ١٦١ .

(٢٧٠) أخرجه أصحاب السنن وغيرهم .

(٢٧١) أخرجه الشيخان ، وأحمد ، وأبو داود . والرغاء : صوت الجمل ، والخوار : صوت البقرة ، واليعار : صوت الشاة .

الله ﷺ يحل رحله ، فرمى بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئاً له بالشهادة يارسول الله ، فقال رسول الله : كلا والذى نفسى بيده إن الشعلة لتلتهب عليه ناراً ، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم . قال : ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال : أصبت يوم خيبر) . فقال رسول الله ﷺ « **شراك أو شراكان من نار** » متفق عليه . وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له : كركرة فمات ، فقال النبى ﷺ : « **هو فى النار** » فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها[٢٧٢] . وعن زيد بن خالد الجهنى أن رجلا غل فى غزوة خيبر فامتنع النبى ﷺ من الصلاة عليه . وقال : « **إن صاحبكم غل فى سبيل الله** »[٢٧٣] . قال : ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود مايساوى درهمين[٢٧٤] . قال الإمام أحمد رحمه الله مانعلم أن النبى ﷺ امتنع من الصلاة على أحد إلا على الغالّ ، وقاتل نفسه . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **هدايا العمال غلول** » .

وفى الباب أحاديث كثيرة ويأتى بعضها فى باب الظلم ، والظلم على ثلاثة أقسام : (أحدها) أكل المال بالباطل ، (وثانيها) ــ ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح ، (وثالثها) ــ ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف . وقد خطب النبى ﷺ بمنى فقال : « ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » متفق عليه .

وقال ﷺ : « لايقبل الله صلاة بغير طهور ولاصدقة من غلول »[٢٧٥] فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

---

(٢٧٢) أخرجه البخارى وغيره . ومعنى الثقل : الغنائم .

(٢٧٣) أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما .

(٢٧٤) أخرجه الطبرانى ، والبيهقى ، وأحمد فى المسند : الخامس ، ص ٤٢٤ .

(٢٧٥) البخارى : زكاة ٧ (فى الترجمة) . ومسلم : طهارة ١ . وأبو داود : طهارة ٣١ . والترمذى : طهارة ١ . والنسائى : طهارة ١٠٣ ، زكاة ٤٨ . وابن ماجه : طهارة ٢ . وأحمد : الثانى ، ص ٢٠ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٧٣ ، والخامس ٧٤ ، ٧٥ .

[الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقـة]

قال الله تعالى : ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[٢٧٦] .

قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع فى سرقة أموال الناس ، والله عزيز فى انتقامه من السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع يده .

وقال ﷺ : « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة** »[٢٧٧] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قطع فى مجنّ قيمته ثلاثة دراهم[٢٧٨] ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعدا[٢٧٩] . وفى رواية قال رسول الله ﷺ : « **لاتقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن** »[٢٨٠] قيل لعائشة رضى الله عنها : وماثمن المجن ؟ قالت : ربع دينار . وفى رواية قال : « **اقطعوا فى ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك** »[٢٨١] . كان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثنى عشر درهما .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله السارق الذى يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده** »[٢٨٢] . قال الأعمش : كانوا يرون أنه بيض الحديد ، والحبل كانوا يرون أن منها مايساوى ثمنه ثلاثة دراهم .

---

(٢٧٦) المائدة : ٣٨ .
(٢٧٧) سبق تخريجه .
(٢٧٨) أخرجه الشيخان .
(٢٧٩) أخرجه أصحاب السنن .
(٢٨٠) هذا اللفظ من رواية مسلم .
(٢٨١) أخرج هذه الرواية البيهقى فى السنن .
(٢٨٢) أخرجه مسلم : حدود ٧ . وابن ماجه : حدود ٢٢ . والنسائى : سارق ١ . وأحمد : الثانى ، ص ٢٥٣ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أُسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبى ﷺ قال له النبى ﷺ : « **ياأُسامة لاأراك تشفع فى حد من حدود الله تعالى** » ثم قام النبى ﷺ خطيباً فقال : « **إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** »[٢٨٣] فقطع يد المخزومية .

وعن عبد الرحمن بن جرير قال : سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق فى عنقه أمن السنة ؟ قال : أتى النبى ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت فى عنقه[٢٨٤] . قال العلماء : ولاتنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه ، فإن كان مفلساً تحلل من صاحب المال ، والله أعلم .

[الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق]

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ . ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٢٨٥] .

قال الواحدى رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله يعصونهما ولا يطيعونهما . كل من عصاك فهو محارب لك ، ويسعون فى الأرض فساداً أى بالقتل والسرقة وأخذ الأموال ، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله وهذا قول مالك والأوزاعى والشافعى . (قوله تعالى) : أن يقتلوا إلى قوله أو ينفوا من الأرض قال الوالبى عن ابن عباس رضى الله عنهما : (أو) أدخلت

---

(٢٨٣) البخارى : فضائل أصحاب النبى ١٨ ، أنبياء ٥٤ ، حدود ١٢ . ومسلم : حدود ٨ ،٩ . وأبو داود : حدود ٤ . والترمذى : حدود ٦ . والنسائى : سارق ٥ ،٦ . وابن ماجه : حدود ٦ . والدارمى : حدود ٥ . وأحمد : الثالث ، ص ٣٨٦ ، ٣٩٥ .

(٢٨٤) أخرجه أصحاب السنن .

(٢٨٥) المائدة : ٣٣ .

للتخيير ومعناها الإباحة ، إن شاء الإمام قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء نفى ، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد ، وقال فى رواية عطية أو ليست للإباحة ، إنما هى مرتبة للحكم باختلاف الجنايات . فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب . ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض ، وهذا مذهب الشافعى رضى الله عنه . وقال الشافعى أيضاً : يحد كل واحد بقدر فعله . فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل ، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه ، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت ، فإن عاد وسرق ثانياً قطعت رجله اليسرى ، فإن عاد وسرق قطعت يده اليسرى ، لما روى عن النبى ﷺ قال فى السارق : « **إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ، ثم إن سرق فاقطعوا يده ، ثم إن سرق فاقطعوا رجله** »[٢٨٦] . ولأنه فعل ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة ، ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله تعالى ﴿ **من خلاف** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **أو ينفوا من الأرض** ﴾ . قال ابن عباس : هو أن يهدر الإمام دمه فيقول : من لقيه فليقتله . هذا فيمن يقدر عليه ، فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن ، لأنه إذا حبس ومنع من التقلب فى البلاد فقد نفى منها أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعراً :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(٢٨٦) أخرج النسائى وأبو داود نحوه . ولكن النسائى أنكره . وقال الخطابى الشافعى : « لا أعلم أحداً من الفقهاء يبيح دم السارق ، وإن تكررت منه السرقة » . وقال ابن عبد البر : « حديث القتل للسارق منكر لا أصل له » .

قال فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل ؟ فقد فعل عدة كبائر مع ماغالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق مايأخذونه فى الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك . نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة ؛ إنه جواد كريم غفور رحيم .

[الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس]

قال الله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لَا خلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[٢٨٧] .

قال الواحدى : نزلت فى رجلين اختصما إلى النبى ﷺ فى ضيعة ، فهمَّ المدعى عليه أن يحلف ، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر للمدعى بحقه[٢٨٨] . وعن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « **من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان** » . فقال الأشعث : فىّ والله نزلت ، كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى ، فقدمته إلى النبى ﷺ فقال : « **ألك بينة ؟** » قلت : لا ، قال لليهودى : « **احلف** » . قلت : يارسول الله إنه إذن يحلف فيذهب بمالى . فأنزل الله تعالى **﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا ﴾** أى عرضاً يسيراً من الدنيا وهو مايحلفون عليه كاذبين (أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة) أى لانصيب لهم فى الآخرة (ولا يكلمهم الله) أى بكلام يسرهم (ولا ينظر إليهم) نظراً يسرهم ، يعنى نظر الرحمة (ولا يزكيهم)[٢٨٩] .

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من حلف على مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان** » . قال عبد الله .

(٢٨٧) آل عمران : ٧٧ .
(٢٨٨) أخرجه النسائى وابن حنبل بنحوه .
(٢٨٩) أخرجه الشيخان .

ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا** ﴾إلى آخر الآية أخرجاه فى الصحيحين . وعن أبى أمامة قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فقال : « **من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » فقال رجل وإن كان يسيراً يارسول الله ؟ قال : « **وإن كان قضيباً من أراك** » أخرجه مسلم فى صحيحه : قال حفص بن ميسرة : ما أشد هذا الحديث . فقال : أليس فى كتاب الله تعالى : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا** ﴾ الآية . وعن أبى ذر عن النبى ﷺ قال : « **ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم** » فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا يارسول الله من هم ؟ قال : « **المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** »[٢٩٠]. وقال ﷺ « **الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس** » أخرجه البخارى فى صحيحه ، والغموس هى التى يتعمد الكذب فيها ، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف فى الإثم . وقيل : تغمسه فى النار .

(فصل) : ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبى والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة ، وهى من أشد ماهنا ، والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت ، وفى رواية فى الصحيح : « فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت** »[٢٩١] .

---

(٢٩٠) أخرجه مسلم : إيمان ١٧١ . وأبو داود : لباس ٢٥ . والنسائى : زكاة ٦٩ ، بيوع ٥ . وابن ماجه تجارات ٣٠ . والدارمى : بيوع ٦٣ . وأحمد : الخامس ، ص ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٨ .
(٢٩١) أحمد : الثانى ، ص ٧ . والترمذى : نذور ٨ .

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تحلفوا بالطواغى ولا بآبائكم** » رواه مسلم . الطواغى : جمع طاغية وهى الأصنام ، ومنه الحديث : هذه طاغية دوس أى صنمهم ومعبودهم وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف بالأمانة فليس منا** » رواه أبو داود وغيره ، وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف فقال : إنى برىء من الإسلام ، فإن كان كاذباً فهو كما قال ، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً** »[٢٩٢] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلا يقول : والكعبة ، فقال : « لاتحلف بغير الله » فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك** » رواه الترمذى وحسنه ابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهم[٢٩٣] . قال : وفسر بعض العلماء قوله « **كفر أو أشرك** » على التغليظ كما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « **الرياء شرك** » .

وقال ﷺ : « **من حلف فقال فى حلفه : واللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله** » . وقد كان فى الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه ، فربما سبق لسانه إلى الحلف بها ، فأمره النبى ﷺ أن يبادر بقول لا إله إلا الله ليكفر بذلك ماسبق إلى لسانه ، وبالله التوفيق .

[الكبيرة السادسة والعشرون : الظــلم]

بأكل أموال الناس وأخذها ظلماً وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدى والاستطالة على الضعفاء .

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ**

---

(٢٩٢) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما .
(٢٩٣) أخرجه أصحاب السنن .

طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ . وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ . فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا : رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ . أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَالَكُمْ مِنْ زَوَالٍ . وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ . وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ (٢٩٤) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾(٢٩٥) . وقال تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾(٢٩٦) .

وقال ﷺ : « إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » . ثم قرأ رسول الله ﷺ : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة . إن أخذه أليم شديد »(٢٩٧) .

وقال ﷺ : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لايكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »(٢٩٨) .

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى : أنه قال : « ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظّالموا »(٢٩٩) . وقال رسول الله ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يارسول الله المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ، فيأتي وقد شتم هذا ، وأخذ مال هذا . ونبش عن عرض هذا ، وضرب هذا . وسفك دم هذا . فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ماعليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم

(٢٩٤) إبراهيم : ٤٢ — ٤٥ .
(٢٩٥) الشورى : ٤٢ .
(٢٩٦) الشعراء ٢٢٧ .
(٢٩٧) أخرجه البخاري : تفسير سورة ١١ باب ٥ . ومسلم : برّ ٦٢ . وابن ماجه : فتن ٢٢ .
(٢٩٨) أخرجه البخاري : مظالم ١٠ . وأحمد : الثاني ، ص ٤٣٥ ، ٥٠٦ .
(٢٩٩) أخرجه مسلم : بر ٥٥ . وأحمد : الخامس ، ص ١٦٠ .

طرح فى النار » وهذه الأحاديث كلها فى الصحاح . وتقدم حديث : « **إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة** » وتقدم قوله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « **واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** » . وفى الصحيح : « **من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة** » .

وفى بعض الكتب يقول الله تعالى : اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيرى وأنشد بعضهم :

لاتظلمن إذ ماكنت مقتدراً ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء ، وقال أبو هريرة رضى الله عنه : إن الحبارى لتموت فى وكرها هزالا من ظلم الظالم وقيل : مكتوب فى التوراة : ينادى مناد من وراء الجسر ــ يعنى الصراط ــ يامعشر الجبابرة الطغاة ، ويامعشر المترفين الأشقياء إن الله يحلف بعزته وجلاله أن لايجاوز هذا الجسر اليوم ظالم . عن جابر قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال : « **ألا تخبرونى بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟** » ، فقال فتية كانوا منهم : بلى يارسول الله بينما نحن يوماً جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها . فلما قامت التفتت إليه ثم قالت : سوف تعلم ياغادر إذا وضع الله الكرسى وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم من أمرى وأمرك عنده غداً . قال فقال رسول الله ﷺ : « **صدقت كيف يقدس الله قوماً لايؤخذ من شديدهم لضعيفهم** »[300] .

---

(٣٠٠) أخرجه ابن حبان فى صحيحه .

إذا ماالظلوم استوطأ الظلم مركبا ولج عتواً فى قبيح اكتسابه
فكِله إلى صرف الزمان وعدله سيبدو له مالم يكن فى حسابه

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « **خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم فى الدنيا وإلا أمر بهم فى الآخرة إلى النار : أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ، ولاينصفهم من نفسه ، ولا يدفع الظلم عنهم ، وزعيم قوم يطيعونه ولايساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ، ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ، ورجل ظلم امرأة صداقها** »[٣٠١] .

وعن عبد الله بن سلام قال : إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء ، وقالوا : يارب مع من أنت ؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه . وعن وهب بن منبه قال : بنى جبار من الجبابرة قصراً وشيده ، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخاً تأوى إليه ، فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى الكوخ فقال : لمن هذا ؟ فقيل لامرأة فقيرة تأوى إليه فأمر به فهدم ، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً فقالت من هدمه ؟ فقيل : الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء ، وقالت : يارب إذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت ؟ قال فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال : ياأبتى بعد العز صرنا فى القيد والحبس . فقال يابنى دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ، وكان يزيد بن حكيم يقول : ماهبت أحداً قط هيبتى رجلا ظلمته ، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لى : حسبى الله ، الله بينى وبينك .

وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب إليه من السجن هذين البيتين :

---

(٣٠١) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

أما والله إن الظلم شوم   وما زال المسىء هو الظلوم
ستعلم ياظلوم إذا التقينا   غداً عند المليك مَن الملوم

وعن أبى أمامة قال : يجىء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ماظلمه به ، فما يبرح الذين ظُلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا مابأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ماظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار .

وعن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان لاينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ، ولا يظلم ربك أحداً . قلنا : يارسول الله كيف وإنما نأتى حفاة عراة . فقال بالحسنات والسيئات جزاء ، ولايظلم ربك أحداً**[٣٠٢] . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **من ضرب سوطاً ظلما اقتص منه يوم القيامة** »[٣٠٣] . ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدباً لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يوماً وضربه ضرباً شديدا من غير جرم ولا سبب ، فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ماحملك على أن ضربتنى فى يوم كذا وكذا ضرباً وجيعاً من غير جرم ولا سبب ، فقال المعلم : اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك ، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لاتظلم أحدا ، فقال : جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه .

ومن الظلم أخذ مال اليتيم ، وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله : واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .

---

(٣٠٢) أخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه ، والبخارى فى الأدب المعز .
(٣٠٣) أخرجه البيهقى والطبرانى .

وفى رواية : إن دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين ، وأنشدوا شعراً :

توقّ دعا المظلوم إن دعاءه ... ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعا من ليس بين دعائه ... وبين إله العالمين حجاب
ولا تحسبن الله مطّرحا له ... ولا أنه يخفى عليه خطاب
فقد صح أن الله قال وعزتى ... لأنصر المظلوم وهو مشاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه ... جهول وإلا عقله فمضاب

(فصل) : ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **مطل الغنى ظلم** » وفى رواية « لَيُّ » الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » أى يحل شكايته وحبسه .

(فصل) ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل فى قوله ﷺ « **لىّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته** » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق . هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ . ﴿ **فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون** ﴾[٣٠٤] . قال : فيغفر الله من حقه ماشاء ولايغفر من حقوق الناس شيئاً ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق : ائتوا إلى حقوقكم . قال فيقول الله تعالى للملائكة . خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته ، فإن كان وليًّا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبداً شقيا ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة : ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه ، فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ، ثم صك له صكًّا إلى النار . يؤيد

(٣٠٤) المؤمنون : ١٠١

ذلك ماتقدم من قول النبى ﷺ : « **أتدرون من المفلس ؟ فذكر أن المفلس من أمته من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته . ولهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار** » .

(فصل) ومن الظلم أن يستأجر أجيراً أو إنساناً فى عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : « **ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته** » . وكذلك إذا ظلم يهوديًا أو نصرانيًا أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فهو داخل فى قوله تعالى : أنا حجيجه ـــ أو قال أنا خصمه ـــ يوم القيامة . ومن ذلك أن يحلف على دين فى ذمته كاذباً فاجراً لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . قيل : يارسول الله وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال : وإن قضيباً من أراك** » .

فخف القصاص غداً إذا وفيت ما	كسبت يداك اليوم بالقسطاس
فى موقف مافيه إلا شاخصٌ	أو مهطع أو مقنعٌ للراسِ
أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم	نار وحاكمهم شديد الباس
أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى	فغداً تؤديها مع الإفلاس

وقد روى أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها فى الدنيا كما قال النبى ﷺ : « **لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** »[305] وقال ﷺ : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلل منه**

(305) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد .

اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم . إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح فى النار »[٣٠٦] . وروى عبد الله بن أبى الدنيا بسنده إلى أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « **أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله مايتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها فى الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى زوجته من خير أو شر ، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم ، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ، ثم يؤتى بالجبارين فى مقامع من حديد فيقال : سوقوهم إلى النار** » . وكان شُريح القاضى يقول : سيعلم الظالمون حتى من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب . وروى أنه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط الله عليه من يظلمه ، ودخل طاوس اليمانى على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان ، قال هشام : ومايوم الأذان ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ **فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين** ﴾[٣٠٧] . فصعق هشام . فقال طاوس : هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعاينة ؟ ياراضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم ، والحق الحاكم !

(فصل) فى الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم . قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ** ﴾[٣٠٨] والركون ها هنا السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة . قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتميلوا كل الميل فى المحبة ولين الكلام والمودة ، وقال السدى وابن زيد : لاتداهنوا الظلمة ، وقال عكرمة هو أن يطيعهم ويودهم ، قال أبو العالية : لاترضوا بأعمالهم (فتمسكم النار) فيصيبكم لفحها (ومالكم من دون الله من أولياء) ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما مالكم من مانع يمنعكم من عذاب الله (ثم

---

(٣٠٦) سبق تخريجه .
(٣٠٧) الأعراف : ٤٤ .
(٣٠٨) هود : ١١٣ .

لاتنصرون) لاتمنعون من عذابه ، وقال الله تعالى : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ أى أشباههم وأمثالهم وأتباعهم . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيكون أمراءِ يغشاهم غواشٍ أو حواشٍ من الناس يظلمون ويكذبون ، فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه** »[٣٠٩] . وعنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ « **من أعان ظالماً سلط عليه** »[٣١٠] ، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : لاتملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة ، قال مكحول الدمشقى ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم ؟ فما يبقى أحد مد لهم حبراً أو حبّر لهم دواة أو برى لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضر معهم ، فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم وجاء رجل خياط إلى سفيان الثورى فقال إنى رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان بل أنت من الظلمة أنفسهم ، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط .

وقد روى عن النبى ﷺ أنّه قال : « **أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدى الظلمة** »[٣١١] وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة : أعوان الظلمة .

وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مُر بنى إسرائيل أن لايتلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرنى ، وأن ذكرى إياهم أن ألعنهم . وفى رواية فإنى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **لايقف أحدكم فى موقف يضرب فيه رجل مظلوم فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه** »[٣١٢] .

---

(٣٠٩) أخرجه ابن حبان وأبو يعلى .
(٣١٠) أخرجه ابن عساكر ، وهو ضعيف .
(٣١١) لم نقف عليه .
(٣١٢) أخرجه الطبرانى ، وهو حسن .

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أتى رجل فى قبره فقيل له : إنا ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع إليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه ، فالتهب القبر عليه ناراً فقال : لم ضربتمونى هذه الضربة ؟ فقالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره** »[٣١٣] فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصرة فكيف حال الظالم ؟!

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال يارسول الله : أنصره إذا كان مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره** » .

ومما حكى قال بعض العارفين : رأيت فى المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكّاسين بعد موته بمدة فى حالة قبيحة فقلت له : ماحالك ؟ قال : شر حال ، فقلت : إلى أين صرت ؟ قال : إلى عذاب الله . قلت : فما حال الظلمة عنده ؟ قال : شر حال ، أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾[٣١٤] ومما حكى قال بعضهم رايت رجلا مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى من رآنى فلا يظلمن أحدا فتقدمت إليه ، فقلت له : ياأخى ماقصتك ؟ قال : ياأخى قصة عجيبة ، وذلك أنى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوماً صياداً وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتنى ، فجئت إليه فقلت : أعطنى هذه السمكة ، فقال : لا أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتاً لعيالى ، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها . قال : فبينا أنا أمشى بها حاملها إذ عضت على إبهامى عضة قوية ، فلما جئت بها إلى بيتى ، وألقيتها من يدى ، ضربت على إبهامى ، وآلمتنى ألماً شديدا حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدى ، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم ، فقال : هذه بدء الآكلة اقطعها وإلا تقطع يدك . فقطعت إبهامى ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ولا القرار من

---

(٣١٣) أخرجه أبو الشيخ فى كتاب « توبيخ » وسنده تالف .
(٣١٤) الشعراء : ٢٢٧ .

شدة الألم ، فقيل لى : اقطع كفك فقطعته ، وانتشر الألم إلى الساعد وآلمنى ألماً شديدا ، ولم أطق القرار ، وجعلت أستغيث من شدة الألم ، فقيل لى : اقطعها إلى المرفق فقطعتها . فانتشر الألم إلى العضد ، وضربت على عضدى أشد من الألم الأول ، فقيل : اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها . فقال لى بعض الناس ماسبب ألمك ؟ فذكرت قصة السمكة ، فقال لى لو كنت رجعت فى أول ماأصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوا فاذهب الآن إليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك . قال : فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته ، فوقعت على رجليه أقبلها وأبكى وقلت له : ياسيدى سألتك بالله إلا عفوت عنى . فقال لى : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذى أخذت منك السمكة غصباً وذكرت ماجرى وأريته يدى فبكى حين رآها . ثم قال : ياأخى قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء ، فقلت : ياسيدى بالله هل كنت قد دعوت علىّ لما أخذتها ؟ قال : نعم . قلت : اللهم إن هذا تقوّى علىّ بقوته على ضعفى على مارزقتنى ظلماً فأرنى قدرتك فيه . فقلت : ياسيدى قد أراك الله قدرته فىّ وأنا تائب إلى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ، ولا عدت أقف لهم على باب ، ولا أكون من أعوانهم مادمت حيا . إن شاء الله وبالله التوفيق .

(موعظة) إخوانى كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها ، وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارها ، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها — شعر :

ياMعرضاً بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعاً أو كارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحى وغرس الحدائق ، ونال الأمانى وركب العواتق ؟ صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطرقه فى لهوه أقطع طارق ، وزجرت عليه رعود وصواعق ، وحل به ماشيب بعض المفارق ، وقلاه

الحبيب الذى لم يفارق ، وهجره الصديق والرفيق الصادق ، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق . نازله والله الموت فلم يحاشه ، وأذله بالقهر بعد عز جاشه ، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه ومزقه الدود فى قبره كتمزيق قماشه ، وبقى فى ضنك شديد من معاشه ، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه . مانفعه والله الاحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ، بل ضره من الزاد الإعواز ، وصار والله عبرة للمجتاز ، وقطع شاسعاً من السبل الأوفاز ، وبقى رهيناً لا يدرى أهلك أم فاز . وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآن أحلام ، ودنياك لاتصلح وماسمعت ستراه غدا على التمام ، ويقع لى ولك ، ويحك ! أما يؤثر فيك هذا الكلام ؟

[الكبيرة السابعة والعشرون : المكاس]

وهو داخل فى قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[315] .

والمكّاس من أكبر أعوان الظلمة ، بل هو من الظلمة أنفسهم . فإنه يأخذ مالا يستحق ويعطيه لمن لايستحق ، ولهذا قال النبى ﷺ : « **المكاس لايدخل الجنة** »[316] . وقال ﷺ : « **لايدخل الجنة صاحب مكس** » رواه أبو داود ، وماذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد . ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدى للناس ما أخذ منهم ؟ إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات ! وهو داخل فى قول النبى ﷺ : « **أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يارسول الله المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع ، قال : إن المفلس من أمتى من يأتى بصلاة وزكاة وصيام وحج ، ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار** »[317] .

---

(٣١٥) الشورى : ٤٢ .

(٣١٦) أبو داود : إمارة ٧ . والدارمى : زكاة ٢٨ . وأحمد : الرابع ، ص ١٤٣ ، ١٥٠ .

(٣١٧) سبق تخريجه .

وفى حديث المرأة التى طهرت نفسها بالرجم ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه ، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص . وجابى المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندى وشيخ . وصاحب رواية شركاء فى الوزن آكلون للسحت والحرام ، وصح أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت ، النار أولى به** »[318] ، والسحت : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكره الواحدى رحمه الله فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ **قل لايستوى الخبيث والطيب** ﴾[319] . وعن جابر أن رجلا قال : يارسول الله إن الخمر كانت تجارتى ، وإنى جمعت من بيعها مالا . فهل ينفعنى ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إن أنفقته فى حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضه . إن الله لايقبل إلا الطيب** »[320] ، فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿ **قُلْ لايَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أعْجَبَكَ كثْرَةُ الْخَبِيثِ** ﴾ .

قال عطاء والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية .

(موعظة) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الحدائق فبالغ وغرس ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس ، وظن فى نفسه البقاء ولكن خاب الظن فى النفس ، أزعجه والله هاذم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلى فانطمس ، وتركه فى ظلام ظلمة من الجهل والدنس فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب فى خلس . وقيل :

---

(318) أخرجه الدارمى وأحمد والترمذى ، عن جابر ، وسنده صحيح .

(319) المائدة : 100 .

(320) أخرج مسلم قوله : « إن الله لايقبل إلا الطيب » ، أما بقية الحديث فقد أخرجها الأصبهانى والواحدى .

تبنى وتجمع والآثار تندرس ... وتأمل اللبث والأعمار تختلس

ذا اللب فكّر فما فى العيش من طمع ... لابـد مايـنتهى أمـر وينعـكس

أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا

ومن سيوفهم فى كل معترك ... تخشى ودونهم الحجاب والحرس

أضحـوا بمهلكـة فى وسط معركـة ... صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا

وعمهـم حدث وضمهـم جدث ... باتـوا فهم جثث فى الـرمس قد حبسوا

كأنهم قط ماكانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهمُ بين الورى ونسوا

والله لو عاينت عيناك ماصنعت ... أيدى البلى بهم والدود يفترس

لعاينت منظراً تشجى القلوب له ... وأبصرت منكراً من دونه البلس

ومن أوجه ناضرات حار ناظرها ... فى رونق الحسن منها كيف ينطمس

وأعظم باليـات مابها رمـق ... وليس تبقى لهذا وهى تنتهس

وألسن ناطقـات زانها أدب ... ماشأنها شانها بالآفة الخرس

حنانا ياذا النهى لاترعوى سفهاً ... ودمع عينيك لايهمى وينبجس

(موعظة) : يامن يرحل فى كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى الخردلة ماينتفع بالنذير والنذر متصلة ، ولا يصغى إلى ناصح وقد عذله ، ودروعه مخرقة والسهام مرسلة . ونور الهدى قد بدا ولكن مارآه ولا تأمله وهو يؤمل البقاء . ويرى مصير من قد أمله قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله . كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة . ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله فياعجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة استيقن منه غرور وبله . ويحك ياهذا من استدعاك وفتح منزله فقد أولاك لو علمت منزله . فبادر مابقى من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .

[الكبيرة الثامنة والعشرون : أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان]

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[٣٢١] .

أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . قال ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين ، أحدهما أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة . والثانى على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك ، وفى صحيح البخارى : إن رسول الله ﷺ قال : « **إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة** » . وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى ﷺ : « **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك** » وعن أنس رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله : ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال ﷺ : « **ياأنس أطب كسبك تجب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا تستجاب له دعوة أربعين يوماً** »[٣٢٢] ، وروى البيهقى بإسناده أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ولايعطى الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه . ولا يتصدق منه فيقبل منه ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لايمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن** » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه**

(٣٢١) سورة البقرة : ١٨٨ .

(٣٢٢) أخرجه الطبرانى فى الصغير .

أدخله الله تعالى دار الهوان . ورب متخوض فيما اشتهت نفسه من الحرام له النار يوم القيامة »[٣٢٣] . وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أى باب أدخله النار** »[٣٢٤] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **لأن يجعل أحدكم فى فيه تراباً خير من أن يجعل فى فيه حراماً** »[٣٢٥] . وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه انظروا من أين مطعمه ، فإن كان مطعم سوء قال : دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه إن اجتهاده مع أكل الحرام لاينفعه ويؤيد ذلك ماثبت فى الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذى مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ وقد روى فى حديث أن ملكاً على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة « **من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا** »[٣٢٦] الصرف النافله ، والعدل : الفريضة . وقال عبد الله بن المبارك : « لأن أرد درهما من شبهة أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة » . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **من حج بمال حرام فقال : لبيك ، قال ملك : لالبيك ولاسعديك حجك مردود عليك** »[٣٢٧] . وروى الإمام أحمد فى مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه** » . وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام السارية مانفعك حتى تنظر مايدخل بطنك أحلال أم حرام . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « لايقبل الله صلاة امرىء وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه » . وقال سفيان الثورى : من أنفق الحرام فى الطاعة كمن طهر الثوب بالبول ، والثوب لايطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال ، وقال

---

(٣٢٣) أخرجه البيهقى ، وسنده ضعيف .
(٣٢٤) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .
(٣٢٥) أخرجه أحمد ، وتمامه : « والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب به إلى الجبل فيحتطب ثم يأتى به فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يسأل الناس ، ولأن يأخذ تراباً فيجعله .. » .
(٣٢٦) نقل الشوكانى عن الفيروز آبادى صاحب المختصر أنه لم يجد له أصلاً .
(٣٢٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

عمر رضى الله عنه « كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام » .
وعن كعب بن عُجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة جسد غذى بالحرام** »(٣٢٨) . وعن زيد بن أرقم قال : كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج — أى قد كاتبه على مال — وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها ؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه . قال : فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ، ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وماكنت أحسن الكهانة ، إلا أنى خدعتهم ، فقال أبو بكر : أف لك كدت تهلكنى ! ثم أدخل يده فى فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : إنها لاتخرج إلا بالماء ، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شىء فى بطنه ، فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضى الله عنه لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها . إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :« **كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به** »(٣٢٩) ، فخشيت أن ينبت بذلك فى جسدى من هذه اللقمة . وقد تقدم قوله ﷺ : « **لايدخل الجنة جسد غذى بحرام** »(٣٣٠) وإسناده صحيح . قال العلماء رحمهم الله : ويدخل فى هذا الباب : المكاس ؟ والخائن ، والزغلى ، والسارق والبطال ، وآكل الربا وموكله ، آكل مال اليتيم ، وشاهد الزور ، ومن استعار شيئاً فجحده ، وآكل الرشوة ، ومنقص الكيل والوزن ، ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه ، والمقامر . والساحر . والمنجم . والمصور ، والزانية . والنائحة والعشرية ، والدلال ، إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ، ومخبر المشترى بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه .

(فصل) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة ، حتى إذا جىء بهم جعلها الله هباء منثوراً ثم يقذف بهم فى النار . فقيل يارسول الله : كيف ذلك ؟ قال : كانوا**

(٣٢٨) وسنده ضعيف .
(٣٢٩) أخرجه الدارمى وغيره عن جابر .
(٣٣٠) سبق .

يصلون . ويصومون ، ويزكون ويحجون ، غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم »[٣٣١] . وعن بعض الصالحين أنه رئى بعد موته فى المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ قال : خيراً ، غير أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها . فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

(موعظة) عباد الله أما الليالى والأيام تهدم الآجال ؟ أما مآل المقيم فى الدنيا إلى الزوال ، أما آخر الصحة يئول إلى الاعتلال ، أما غاية السلامة نقصان الكمال . أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال ، أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال : أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال ؟

وعزيـــز ناعـــم ذل له	كل صعب المرتقى وعر المرام
فكساه بعـد لين ملـــبس	خشناً بالرغم منه فى الرغام
ووجـــوه ناضرات بدلت	بعد لون الحسن لوناً كالقتام
وشموس طالعـات أفـــلت	بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيـــف شامخ بنيانـــه	لين الأعطاف مهتز القــوام
أف للدينـا فمـا شيـــمتها	غير نقض العقد أو خفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا	صالحاً من قبل تقويض الخيام[٣٣٢]

يامتعلقاً بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق ، يامضيعاً فى الهوى واجبات الحقوق تبارز الخالق وتستحى من المخلوق ؟ يامؤثراً أعلى العلالى سائراً ذلك الفسوق ، ألا سترى ذلك الفسوق ! يامتولهاً مهاد الهوى وهو فى سجن الردى مرموق ، ابك على نفسك العليلة فإنك بالبكاء محقوق ، عجباً لمن رأى فعل الموت لصحبه ، وأيقن بتلفه وماقضى نحبه ، وسكن الإيمان بالآخرة فى قلبه ، ونام

---

(٣٣١) أخرجه الطبرانى ، وسنده فيه ضعف .

(٣٣٢) الرغام : التراب ، والقتام : الغبار ، وأفلت : غابت ، والأعطاف : الجوانب ، وشيمتها : خلقها وعادتها ، وخفر الذمام : خيانة العهد والذمة .

غافلا على جنبه ؛ ونسى جزاءه على جرمه وذنبه وأعرض إلى ربه من الهوى عن ربه ، كأنى به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه ، وأفرده الموت عن أهله وسربه ، ونقله إلى قبره ذل فيه بعد عجبه . فياذا اللب جز على قبره وعج[٣٣٣] به . لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع ، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع ، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع . فما بالها لاتسكب المدامع ؟ ياعجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقد نشبت فيه مخالب المطامع . يامن شيبه قد أتى هل ترى مامضى من العمر براجع ؟ انتبه لما بقى وانتبه وراجع ، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع ، إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع .

[الكبيرة التاسعة والعشرون: أن يقتل الإنسان نفسه]

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً ، وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾[٣٣٤] .

قال الواحدى فى تفسير هذه الآية : ولا تقتلوا أنفسكم ، أى لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد ، فأنتم كنفس واحدة . هذا قول ابن عباس والأكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهى عن قتل الإنسان نفسه ، ويدل على صحة هذا ماأخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصورى بإسناده عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت فى ليلة باردة وأنا فى غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت فصليت بأصحابى الصبح ، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال : « **ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟** » ، فأخبرته الذى منعنى من الاغتسال فقلت إنى سمعت الله يقول : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ . فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يقل شيئاً[٣٣٥] .

---

(٣٣٣) المراد اهتم به .

(٣٣٤) النساء : ٢٩ — ٣٠ .

(٣٣٥) أخرجه أحمد فى المسند .

فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبى ﷺ . قوله (ومن يفعل ذلك) كان ابن عباس يقول : الإشارة تعود إلى كل مانهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع وقال قوم : الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل ، وقتل النفس المحرمة ، وقوله تعالى : ﴿ **عدواناً وظلماً** ﴾ من العدوان أن يعدو ماأمر الله به (وكان ذلك على الله يسيراً) أى أنه قادر على إقاع ماتوعد به من إدخال النار . وعن جندب ابن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال : « **كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحذ بها يده فما رقأ الدم حتى مات . قال الله تعالى : بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة . مخرج فى الصحيحين . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل فى نار جهنم خالداً فيها أبداً** » مخرج فى الصحيحين وفى حديث ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن المؤمن كقتله ، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله ، من قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة** »[٣٣٦] . وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلمته الجراح فاستعجل الموت ، فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ : « **هو من أهل النار** »[٣٣٧] ، فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ إنه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة ، وأنت تعلم أنها مكيدة ؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ؟ وكيف تقصّر فى زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة ؟ يامعرضاً عنا إلى متى هذا الجفا والإعراض ؟ ياغافلا عن الموت والعمر لاشك فى انقراض . يامغتراً فى أمله وأيدى المنايا فى أجله

(٣٣٦) أخرجه الترمذى وغيره .
(٣٣٧) أخرجه الشيخان .

تقرضه بمقراض ، يامغروراً بصحته وبدنه كل يوم فى انتقاض ، يامن يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الأبعاض . ياغافلا عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض ، ياقليل الاحتراس ونيل المنايا طوال عراض . يامن يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، ياضاحكا وعيون الفنا غير غماض لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض ؟

[الكبيرة الثلاثون : الكذب فى غالب أقواله]

قال الله تعالى : ﴿ **أَلا لَعْنَةُ الله عَلَى الظالمين** ﴾[٣٣٨] . وقال الله تعالى : ﴿ **قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ** ﴾[٣٣٩] أى الكاذبون . وقال تعالى : ﴿ **إنَّ الله لايَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾[٣٤٠] .

فى الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الصدق يهدى إلى البر إن البر يهدى إلى الجنة ، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً** » . وفى الصحيحين أيضاً أنه ﷺ قال : « **آية المنافق ثلاث ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان** » . وقال عليه الصلاة والسلام : « **أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . إذا اؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » . وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ قال : « **فأتينا على رجل مضطجع لقفاه ، وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعيناه إلى قفاه ، ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل مافعل فى**

(٣٣٨) هود : ١٨ .
(٣٣٩) الذاريات : ١٠
(٣٤٠) غافر : ٢٨ .

الجانب الأول ، فما يرجع إليه حتى يصح مثل ماكان ، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة . فقلت لهما : « من هذا ؟ فقالا : إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق » . وقال ﷺ : « يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب »(٣٤١) . وفى الحديث : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »(٣٤٢) . وقال ﷺ : « ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولايزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر »(٣٤٣) . العائل : الفقير . وقال ﷺ : « ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب . ويل له ، ويل له »(٣٤٤) . وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين . بقوله : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾(٣٤٥) . وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل مايمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا سلعة ، فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا ، فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا ، فإن أعطاه منها وفى له ، وإن لم يعطه لم يف له » . وقال ﷺ : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب »(٣٤٦) ، وفى الحديث أيضاً : « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد »(٣٤٧) ، وقال رسول الله ﷺ : « أفرَى الفِرَى على الله أن يرى الرجل عينيه مالم تريا »(٣٤٨) معناه أن يقول : رأيت فى منامى كيت وكيت ولم يكن رأى شيئاً . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت فى قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين .

---

(٣٤١) أخرجه أحمد عن أبى أمامة .
(٣٤٢) أخرجه الشيخان ومالك عن أبى هريرة .
(٣٤٣) سبق تخريجه .
(٣٤٤) أخرجه أبو داود والحاكم عن معاوية حيدة .
(٣٤٥) المجادلة : ١٤ .
(٣٤٦) أخرجه البخارى فى الأدب وغيره .
(٣٤٧) أخرجه الترمذى وأحمد .
(٣٤٨) أخرجه أحمد عن ابن عمر .

فينبغى للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام ، إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة . فإن فى السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شيء . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** » . فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح فى أنه لاينبغى للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم ، قال أبو موسى : قلت : يارسول الله أى المسلمين أفضل ؟ قال : « **من سلم المسلمون من لسانه ويده** »[٣٤٩] . وفى الصحيحين : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها ـــ أى مايفكر فيها بأنها حرام ـــ يزلّ بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » . وفى موطأ الإمام مالك من رواية بلال بن الحارث المزنى أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ماكان يظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ماكان يظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه** » والأحاديث الصحيحة بنحو ماذكرنا كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية . وسئل بعضهم : كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هى أكثر من أن تحصى ، والذى أحصيت ثمانية آلاف عيب ، ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها ، وهى حفظ اللسان ، جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه ، إنه جواد كريم .

(موعظة) .أيها العبد : لاشيء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه ، ولاعدو لك كالشيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها ، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها . لقد مضى من عمرك الأطايب فما بقى بعد شيب الذوائب ؟ ياحاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب والشيب من جملة المصائب . يمضى زمن الصبا وحب الحبائب . كفى

---
(٣٤٩) أخرجه أبو داود وأحمد .

زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب . ياغافلا فإنه أفضل المناقب ، أين البكا لخوف العُظيم الطالب ؟ أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب ؟ نظرت فيه آخر العواقب . كم فى القيامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ! من لى إذا قمت فى موقف المحاسب وقيل لى : ماصنعت فى كل واجب ؟

كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ، إذا أتتك الأمانى بظن الكاذب . الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقى شره بكأس صدور الكتائب . فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب ، يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب . ياآملا أن تبقى سليما من النوائب ، بنيت بيتاً كنسيج العناكب . أين الذين علوا متون الركائب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب ، وأنت بعد قليل حليف المصائب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجائب .

[الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضى السوء]

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[350] . وقال الله تعالى : **﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾**[351] . وقال الله تعالى : **﴿ وَمَنْ لَمْ يحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾**[352] .

روى الحاكم بإسناده وفى صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « **لايقبل الله صلاة إمام حكم بغير ماأنزل الله** » .

وصحح الحاكم أيضاً من حديث بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **القضاة ثلاثة : قاض فى الجنة وقاضيان فى النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة ، وقاض عرف الحق فجار متعمداً فهو فى النار ، وقاض قضى بغير علم فهو فى النار** » . قالوا فما ذنب الذى يجهل ؟ قال :

---

(350) المائدة : 44 .
(351) المائدة : 45 .
(352) المائدة : 47 .

« **ذنبه أن لايكون قاضياً حتى يعلم** » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين** »[٣٥٣] . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله . ينبغى للقاضى أن يكون يوماً فى القضاء ويوماً فى البكاء على نفسه . وقال محمد بن واسع ــ رحمه الله ــ : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايود أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة** »[٣٥٤] . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن القاضى ليزلّ فى زلقة فى جهنم أبعد من عدن** »[٣٥٥] . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق ، فإن كان عدلاً نجاه الله بعدله ، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضاً ، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم** » . وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى على القضاء وقال أيوب السختيانى : (إنى وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه) وقيل للثورى : إن شريحاً قد استقضى ، فقال : أى رجل قد أفسدوه ! ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة فأبى ، فعاوده وقال : لتجلسن ؛ وإلا جلدتك . فقال : إن تفعل فإنك سلطان وإن دليل الدنيا خير من دليل الآخرة ! وقال وهب بن منبه : إذا همَّ الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى فى الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شىء ، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك . وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن العزيز رضى الله تعالى عنه : أما بعد فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح . فكتب إليه عمر :

---

(٣٥٣) أخرجه أحمد والحاكم عن أبى هريرة .
(٣٥٤) أخرجه الطبرانى عن عائشة .
(٣٥٥) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ، والسلام . قال : ويحرم على القاضى أن يحكم وهو غضبان وإذا اجتمع فى القاضى قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة[٣٥٦] وقلة ورع فقد تم خسرانه ، ووجب عليه أن يعزل نفسه ، ويبادر بالخلاص . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

(موعظة) يامن عمره كلما زاد نقص ، يامن يأمن ملك الموت وقد اقتص يامائلا إلى الدنيا هل سلمت من النقص ؟ يامفرطاً فى عمره هل بادرت الفرص ؟ يامن إذا ارتقى فى منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص . عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة ، ولأن تقرعها المواعظ فتصغى لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت فى كرم الكريم طامعة ، وليست له فى حال من الأحوال طائعة ، والأقدام سعت فى الهوى فى طرق شاسعة ، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة ، والهمم شرعت فى مشارع الهوى متنازعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة ، ثم تعود إلى مالا يحل مرارا متتابعة .

[الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم]

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[٣٥٧] .

أى لاتدلوا بأموالكم إلى الحكام ، أى لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لايحل لكم . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم** » أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن . وعن عبد الله بن عمرو : لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى[٣٥٨] . قال العلماء : فالراشى هو الذى يعطى الرشوة ، والمرتشى هو

(٣٥٦) أخرج الطبرانى نحوه عن أبى ذر .
(٣٥٧) البقرة : ١٨٨ .
(٣٥٨) أخرجه ابن ماجه عن ابن عمرو .

الذى يأخذ الرشوة ، وإنما تلحق اللعنة الراشى إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها مالا يستحق ، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له ويدفع عن نفسه ظلماً فإنه داخل فى اللعنة ، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام ، أبطل بها حقا أو دفع بها ظلماً . وقد روى فى حديث آخر : « **إن اللعنة على الرائش أيضا وهو الساعى بينهما ، وهو تابع للراشى فى قصده خيراً لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته** »[٣٥٩] .

(فصل) : ومن ذلك ماروى أبو داود فى سننه عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا** » . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدى إليك هدية فتقبلها منه ، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد فى مظلمة فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفاً فردها ولم يقبلها ، وقال سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيراً فهو سحت فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ماكنا نظن أن السحت إلا الرشوة فى الحكم ، فقال : ذلك كفر ، نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه .

(الحكاية) عن الإمام أبى عمر ألاوزاعى رحمة الله ـــ وكان يسكن ببيروت ـــ أن نصرانيًا جاء إليه فقال : إن والى بعلبك ظلمنى بمظلمة ، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلة عسل ، فقال الأوزاعى رحمه الله : إن شئت رددت القلة وكتبت لك إليه ، وإن شئت أخذت القلة . فكتب له إلى الوالى أن ضع عن هذا النصرانى من خراجه . فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالى فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهماً بشفاعة الإمام رحمه الله وحشرنا فى زمرته .

(موعظة) عباد الله : تدبروا العواقب ، واحذروا قوة المناقب ، واخشوا عقوبة المعاقب ، وخافوا سلب السالب ، فإنه والله طالب غالب . أين الذين

---

(٣٥٩) أخرجه البزار والطبرانى عن ثوبان بلفظ « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش » .

قعدوا في طلب المنى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا ؟ ماأقل مالبثوا وما أوفى ماأقاموا ! لقد وبخوا فى نفوسهم فى قعر قبورهم على ماأسلفوا ولاموا :

أما والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر ، ... وتوبيخ ، وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

يامن بأقذار الخطايا قد تلطخ ، وبآفات البلايا قد تضمخ ، يامن سمع كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ ، يامطلقاً لسانه والملك يحصى وينسخ ، يامن طير الهوى فى صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد الموت ملوكا كالجبال الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت فى الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ ، يامن قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ ، يامبارزاً بالعظائم أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ ، يامن لازم العيب بعد اشتعال الشيب ففعله يؤرخ . والحمد لله دائماً أبداً .

[الكبيرة الثالثة والثلاثون: تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء]

فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء »[٣٦٠] . وفى رواية : « **لعن الله الرجلة من النساء** »[٣٦١] . وفى رواية قال : « **لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء** »[٣٦٢] يعنى اللاتى يتشبهن بالرجال فى لبسهم وحديثهم ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة** »[٣٦٣] .

(٣٦٠) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائى عن ابن عباس .
(٣٦١) أخرجه أبو داود عن عائشة .
(٣٦٢) أخرجه أحمد وغيره عن ابن عباس .
(٣٦٣) أخرجه الحاكم وابن حبان عن أبى هريرة .

فإذا لبست المرأة زى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذ أمكنها من ذلك أى رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية ، لقول الله تعالى : ﴿ **قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾[٣٦٤] أى أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم فى حق أنفسكم ، ولقول النبى ﷺ « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة** »[٣٦٥] . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء** »[٣٦٦] . وقال الحسن : والله ماأصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى فى النار ، وقال ﷺ « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » أخرجه مسلم .

(قوله) كاسيات أى من نعم الله عاريات من شكرها وقيل هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها . ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله ومايلزمهن حفظه ، مميلات أى يعلّمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل : مائلات : متبخترات مميلات لأكتافهن-وقيل مائلات : يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا ، ومميلات : يمشطن غيرهن تلك المشطة . رؤوسهن كأسنمة البخت أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما . وعن نافع قال كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً ، فقال عبد الله بن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة فالتفت إلى ابن عمر فقال : إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

---

(٣٦٤) التحريم : ٦ .
(٣٦٥) سبق تخريجه .
(٣٦٦) أخرجه الحاكم عن أبى بكرة .

ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة : إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب ، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ، ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت ، وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة ، وهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء قال عنهن النبى ﷺ : « **اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء** »[٣٦٧] ، وقال ﷺ « **ماتركت بعدي فتنة هى أضر على الرجال من النساء** »[٣٦٨] . فنسأل الله أن يقينا فتنتهن ، وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه .

(موعظة) ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم .. ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم . مفرقاً من مالك مااجتمع ومن شملك ماانتظم ، ولاتدفعه بكثرة الأموال ولابقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فيا عجباً لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد وتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف فى قلبك وتتوقد ، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لايهولك زجر الواعظ وإن شدد ، إلى متى أنت بين الفتور والتوانى تتردد ، متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك مايفنى فيما لاينفد ، متى تهب بك فى بحر الوجد ريح الخوف والرجا ، متى تكون فى الليل قائما إذا سجا ، أين الذين عاملوا مولاهم.وانفردوا ، وقاموا فى الدجى وركعوا وسجدوا ، وقدموا إلى بابه فى الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ماوجدوا . وبقيت فى أعقابهم وإن لم تلحق بعدوا :

يانائم الليل . كم ترقد ... قم ياحبيبى قد دنا الموعد
من نام حتى ينقضى ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد
فقل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

(٣٦٧) أخرجه الترمذى وغيره عن ابن عباس .
(٣٦٨) أخرجه أصحاب السنن إلا أبا داود عن أسامة .

[الكبيرة الرابعة والثلاثون : الديوث المستحسن على أهله والقواد الساعي بين الأثنين بالفساد]

قال الله تعالى : ﴿ الزَّانِي لايَنْكِحُ إِلّا زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣٦٩) .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **ثلاثة لايدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء** »(٣٧٠) وروى النسائى أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الخبث فى أهله** » يعنى يستحسن على أهله . نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينا وهو عاجز ، أو صداقاً ثقيلا ، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ، ولا خير فيمن لا غيرة له . فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة ، إنه جواد كريم .

(موعظة) أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لممات آت ، حتى متى لاتجتهد فى إلحاق القوافل الماضيات ، أتطمع وأنت رهين الوساد(٣٧١) فى لاق السادات ؟ هيهات هيهات هيهات ! ياآملا فى زعمه اللذات احذر هجوم هاذم اللذات ، احذر مكائده فهى كوامن فى عدة الأنفاس واللحظات .

تمضى حلاوة ماأخفيت وبعدها ... تبقى عليك مرارة التبعات
ياحسرة العاصين يوم معادهم ... لو أنهم سبقوا إلى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذى ... ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يامن صحيفته بالذنوب قد حفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت ، أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحود قد

(٣٦٩) النور : ٣ .
(٣٧٠) سبق تخريجه .
(٣٧١) أى ملتصق بالوسادة نائماً .

زفت ، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت فى الأكفان ولفت ، أما عاينت طور الأجسام فى الأرحام ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ، متى تعتبر بربع غيرك الدارس ؟ أين الأكاسرة الشجعان الفوارس ، وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخنّس الكوانس ، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ، أين من اعتاد سعة القصور ! حبس فى القبور فى أضيق المحابس ! أين الرافل فى أثوابه عرى فى ترابه عن الملابس ، أين الغافل فى أمله وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس ، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس ! حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، ولمن جهل نفسه أن يزجرها ، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها ، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها ، ولمن دعى إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها .

[الكبيرة الخامسة والثلاثون : المحلل والمحلل له]

صح من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له . قال الترمذى : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ، وعبد الله بن عمر ، وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الإمام أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه أيضاً بإسناد صحيح . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال : « لا ، إلا نكاح رغبة ، لانكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حق يذوق العُسيلة » ورواه أبو إسحاق الجوزجانى . وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له** » . رواه ابن ماجه بإسناد صحيح . وعن ابن عمر أن رجلا سأله فقال : ماتقول فى امرأة تزوجتها أُحلها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها فارقتها ، وإنا كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ . وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « **لاأوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما** » . وسئل عمر بن الخطاب عن

تحليل المرأة لزوجها فقال (ذلك السفاح) . وعن عبد الله بن شريك العامرى قال : سمعت بن عمر رضى الله عنهما وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ، ثم ندم ورغب فيها ، فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له . فقال ابن عمر : كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك ، إذ كان يعلم أنه يريد أن يحللها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأله رجل فقال : ابن عمى طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم فقال : ابن عمك عصى ربه فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً . فقال : كيف ترى فى رجل يحلها له ؟ فقال : من يخادع الله يخدعه ، وقال إبراهيم النخعى : إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول . وقال الحسن البصرى إذا همّ أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين ، فى رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول ، فقال لاتحل . وممن قال بذلك مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثورى ، والإمام أحمد . وقال إسماعيل بن سعيد : سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفى نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك ؟ فقال : هو محلل . وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون ، ومذهب الشافعى رحمه الله إذا شرط التحليل فى العقد بطل العقد ، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة ، وإن وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة ، وإن عقد كذلك ولم يشترط فى العقد ولا قبله لم يفسد العقد ، وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان : أصحهما أنه يبطل . ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت . وهذا هو الأصح فى الرافعى . ووجه الثانى أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها ، بشرط أن لايتزوج عليها ولا يسافر بها . والله أعلم . فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ، ويجنبنا معاصيه ؛ إنه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها ، التقطوا أيام السلامة فغنموا . وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا

لأمره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا فى طاعته لذيذ الكرى وهربوا إليه من جميع الورى ، وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى . ورضوا فلم يعترضوا على ماجرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويانعم الشرا . أسلموا إليه لما سلموا الروح ، وخدموه والصدر لخدمته مشروح ، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح ، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا فى الأسحار قيام من يبكى وينوح ، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح . تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح ، قد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح . من طيب الثنا. روائح لهم بكل مكان تستنشق ، ممسّكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لاتعبق .

[الكبيرة السادسة والثلاثون : عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى]

قال الله تعالى : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾[٣٧٢] ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبى ﷺ بقبرين فقال : « **إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لايستبرى من البول أي لايتحرز منه** » . مخرج فى الصحيحين ، وقال رسول الله ﷺ : « **استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه** » . رواه الدارقطنى .

ثم إن من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة . وروى الحافظ أبو نعيم فى « الحلية » عن شقى بن ماتع الأصبحى عن رسول الله ﷺ قال : « **أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الأذى ، يسعون مابين الحميم والجحيم ، ويدعون بالويل والثبور ، ويقول أهل النار لبعضهم البعض : مابال هؤلاء قد آذونا على مابنا من الأذى . قال : فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فمه قيحاً ودماً ، ورجل يأكل لحمه ، قال : فيقال لصاحب التابوت : مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى ؟**

---

(٣٧٢) المدثر : ٤ .

فيقول : إن الأبعد مات وفى عنقه أموال الناس ، ثم يقال للذى يجر أمعاءه : مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان لايبالى أين مأأصاب البول منه « ولا يغسله » . ثم يقال للذى يسيل فمه قيحاً ودماً : مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها . وفى رواية : كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة ، ثم يقال للذى يأكل لحمه : مابال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس — يعنى بالغيبة .

فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه ، إنه أرحم الراحمين .

(موعظة) أيها العبيد تذكروا فى مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا فى عواقبهم أين انطلقوا ، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما أهل الخير فسعدوا ؟ وأما أهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل أن تلقى مالقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلا لطيفاً ثم يتسق
يزداد حتى إذا ماتم أعقبه ... كر الجديدين نقص ثم يمتحق
كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسم جد المشيب به ... كالليل ينهض فى أعجازه الأفق
عجبت والدهر لاتفنى عجائبه ... من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها ... بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا
دار لعهد بها الآجال مهلكة ... وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدغونى لزخرفها ... أين الملوك ، ملوك الناس والسوق
أين الذين إلى لذاتها جنحوا ... قد كان قبلهمُ عيش ومرتفق
أمست مساكنهم قفراً معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
فيا أهل دار لابقاء لها ... إن اغتراراً بظل زائل حمق[٣٧٤]

(٣٧٣) يتسق : يكتمل ، وكر الجديدين : تعاقب الليل والنهار ، وامتحق : نقص وذهبت بركته ، وجد المشيب به : اشتد به ، والسوق : الرعية ، ومرتفق : كل ما ينتفع به .

[الكبيرة السابعة والثلاثون : الريـــاء]

قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين : ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٣٧٤] . وقال الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾[٣٧٥] . وقال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾[٣٧٦] الآية . وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَملاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾[٣٧٧] .

أى لا يرائى بعمله. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « **إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جرىء ، وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت لكنك تعلمت ليقال هو عالم . وقرأت ليقال : هو قارىء ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار** » رواه مسلم . وقال ﷺ : « **من سمّع سمّع الله به ، ومن راءى راءى الله به** »[٣٧٨] . قال الخطابى معناه من عمل عملا على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزى على ذلك بأنه يشهره ويفضحه ، فيبدو عليه ماكان يبطنه ويسره من ذلك ، والله أعلم . وقال عليه الصلاة والسلام : « **اليسير من الرياء شرك** »[٣٧٩] . وقال ﷺ « **أخوف**

---

(٣٧٤) النساء : ١٤٢ .
(٣٧٥) الماعون : ٤ ـــ ٦ .
(٣٧٦) البقرة : ٢٦٤ .
(٣٧٧) الكهف : ١١٠
(٣٧٨) أخرجه ابن ماجه وأحمد .
(٣٧٩) أخرجه البيهقى وابن ماجه عن معاذ .

ماأخاف عليكم الشرك الأصغر ، فقيل : وماهو يارسول الله ؟ قال : الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : « اذهبوا إلى الذين كنتم تراونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »[٣٨٠] . وقيل فى قول الله تعالى : **﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾**[٣٨١] قيل : كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها فى الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات ، وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول : ويل لأهل الرياء وقيل : إن[٣٨٢] المرائى ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء : يامرائى ، ياغادر ، يافاجر ، ياخاسر ، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائى يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء ، يريد أن يقول الناس هو صالح ، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء ؟ فلابد من قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا راءى العبد يقول الله : انظروا إلى عبدى كيف يستهزىء بى . وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطىء رقبته ، فقال : ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب . وقيل : إن أبا أمامة الباهلى رضى الله عنه أتى على رجل من المسجد وهو ساجد يبكى فى سجوده ويدعو ، فقال له أبو أمامة : أنت ، أنت ، لو كان هذا فى بيتك ! وقال محمد بن المبارك الصورى : أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار ، لأن السمت بالنهار للمخلوقين والسمت بالليل لرب العالمين . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : للمرائى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذم به ، وقال الفضيل بن عياض — رحمه الله — : ترك العمل لأجل الناس رياء . والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

نسأل الله المعونة والإخلاص فى الأعمال والأقوال والحركات والسكنات ؛ إنه جواد كريم .

(٣٨٠) أخرجه ابن أبى الدنيا وأحمد عن ابن لبيد .
(٣٨١) الزمر : ٤٧ .
(٣٨٢) ابن ابى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم ، واسناده ضعيف أ . هـ عراق .

(موعظة) عباد الله ؛ إن أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل . فليخبر الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ، يامن يوقن أنه لاشك راحل . وماله زاد ولا رواحل ، يامن لجّ فى لجة الهوى متى ترتقى إلى الساحل ؟ هل انتبهت من رقاد شامل ، وحضرت المواعظ بقلب غير غافل ، وقمت فى الليل قيام عاقل ، وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفى بها زفرات الندم والرسائل ، وبعثتها فى سفينة دمع سائل ، لعلها ترسى على الساحل . واأسفاً لمغرور جهول غافل . لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل ، وركن إلى ركوب الهوى ركبة مائل ، يبنى البنيان ويشيد المعاقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعى بعد هذا أنه عاقل . تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل ، وهو يؤمل فى بطالته فوز العامل ، وهيهات هيهات مافاز باطل بطائل :

أيها المعجب فخراً بمقاصير البيوت
إنما الدنيا محل لقيام وقنوت
فغداً تنزل بيتاً ضيقاً بعد النحوت
بين أقواله سكوت ناطقات فى الصموت
فارض فى الدنيا بثوب ومن العيش بقوت
واتخذ بيتاً ضعيفاً مثل بيت العنكبوت
ثم قل : يانفس هذا بيت مثواك فموتى[383]

[الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتمان العلم]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[384] يعنى العلماء بالله عز وجل ، قال ابن عباس : يريد إنما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى . وقال مجاهد والشعبى : العالم من خاف الله تعالى . وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله فليس بعالم . وقال الله تعالى :

---

(٣٨٣) النحوت : القصور المنحوتة ، وناطقات فى الصموت : المراد أن صمتها معبر عن كثير من الحقائق .
(٣٨٤) فاطر : ٢٨ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُم اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾[٣٨٥] .

نزلت هذه الآية فى علماء اليهود وأراد (بالبينات) الرجم والحدود والأحكام ، وبالهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام ، ونعته (من بعد مابيناه للناس) أى بنى إسرائيل (فى الكتاب) أى فى التوراة ، (أولئك) يعنى الذين يكتمون (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس : كل شيء إلا الجن والإنس ، وقال ابن مسعود : ماتلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته . وقال الله تعالى : **﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَتَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَايَشْتَرُونَ ﴾**[٣٨٦] .

قال الواحدى : نزلت هذه الآية فى يهود المدينة ، أخذ الله ميثاقهم فى التوراة ليبينن شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولايخفونه ، وهو قوله تعالى : **﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾** وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس مافى كتابهم ، وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله **﴿ فنبذوه وراء ظهورهم ﴾** . قال ابن عباس : أى ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ، **﴿ واشتروا به ثمناً قليلا ﴾** ، يعنى ماكانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم ، وقوله : **﴿ فبئس مايشترون﴾ . قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا** وقال رسول الله ﷺ « **من تعلّم علماً مما يبتغى به وجه الله لايتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرف الجنة** » يعنى ريحها ، رواه أبو داود . وقد مر حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين يسحبون إلى النار ، أحدهم الذى يقال له : إنما تعلمت ليقال : عالم وقد قيل ، وقال ﷺ : « **من ابتغى العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه ، فإلى النار** » . وفى لفظ « **أدخله الله النار** » أخرجه الترمذى . وقال ﷺ : « **من سئل عن علم**

---

(٣٨٥) البقرة : ١٥٩ .

(٣٨٦) آل عمران : ١٨٧ .

فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»[٣٨٧]. وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « **أعوذ بك من علم لاينفع** »[٣٨٨] . وقال ﷺ : « **من تعلم علماً لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبراً** »[٣٨٩] . وعن أبى أُمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف فى النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بم لقيت هذا وإنما اهتدينا بك ؟ فيقول : كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** »[٣٩٠] وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه ، والعمل به أشد من حفظه ، والسلامة منه أشد من العمل به ، فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

(موعظة) ابن آدم ! متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرحال عن هذه القصور ؟ إلى متى أنت فى جميع ماتبنى تدور ؟ أين من كان من قبلكم فى المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لايحور ؟ رحل والله الكل فاجتمعوا فى القبور ؟ واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور ، فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور ، كشفوا الحجاب المخفى وهتك المستور ، وظهرت عجائب الأفعال وحُصِّل مافى الصدور ونصب الصراط فكم من قدم عثور ، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور ، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور ، وباءوا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور ، وجىء بالنار تقاد بالأزمّة وهى تفور ، إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور ، ليس فى الدنيا لمن آمن بالبعث سرور ، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور .

إنما الدنيـــــا متـــــاع كل مافيها غرور
فتذكّـــــــر هول يوم السمـــــا فيـــــه تمور

(٣٨٧) أخرجه أصحاب السنن عن ابى هريرة ، وسنده صحيح .
(٣٨٨) أخرجه أحمد وغيره ، عن زيد بن أرقم . وسنده صحيح .
(٣٨٩) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .
(٣٩٠) أخرجه الشيخان عن أسامة بن زيد . ومعنى «قصبه» أمعاؤه .

[الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة]

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لَاتَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلمُونَ ﴾[٣٩١] .

قال الواحدى رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية فى أبى لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم ، فقالوا : ياأبا لبابة ماترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا ؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أى أنه الذبح فلا تفعلوا ، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله . قال أبو لبابة : فما زالت قدماى من مكانى حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله ، وقوله : ﴿ وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾[٣٩٢] عطف على النهى أى ولا تخونوا أماناتكم . قال ابن عباس : الأمانات : الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد ، يعنى الفرائض يقول : لاتنقضوها . قال الكلبى : أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما ، وأما خيانة الأمانة : فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه ، إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى : وقوله (وأنتم تعلمون) أنها أمانة من غير شبهة ، وقال تعالى : ﴿ وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ﴾[٣٩٣] ، أى لايرشد كيد من خان أمانته يعنى أنه يفتضح فى العاقبة بحرمان الهداية ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان** »[٣٩٤] وقال رسول الله ﷺ : « **لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لاعهد له** »[٣٩٥] . والخيانة قبيحة فى كل شىء ، وبعضها شر من بعض ، وليس من خانك فى فلس كمن خانك فى أهلك ومالك وارتكب العظائم . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولاتخن من خانك** »[٣٩٦] . وفى الحديث أيضاً : « **يطبع المؤمن على كل شىء ليس**

---

(٣٩١) الأنفال : ٢٧ .
(٣٩٢) الأنفال : ٢٧ .
(٣٩٣) يوسف : ٥٢ .
(٣٩٤) سبق تخريجه .
(٣٩٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وغيره عن أنس . وسنده صحيح .
(٣٩٦) أخرجه الحاكم وأبو داود عن أبى هريرة . وسنده صحيح .

الخيانة والكذب »[٣٩٧] . وقال رسول الله ﷺ : « **يقول الله أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه »**[٣٩٨] ، وفيه أيضاً « **أول مايرفع من الناس الأمانة ، وآخرها مايبقى الصلاة ، ورب مصل لاخير فيه »**[٣٩٩] وقال رسول الله ﷺ « **إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة** » وقال عليه الصلاة والسلام « **هكذا أهل النار وذكر منهم رجلا لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه »**[٤٠٠] . وقال ابن مسعود « يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذى خان فيها فيقال له : أد أمانتك ، فيقول : أنى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال فتمثل له كهيئتها يوم أخذها فى قعر جهنم ، ثم يقال له انزل إليها فأخرجها ، قال فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهى عليه أثقل من جبال الدنيا ، حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى فى أثرها أبد الآبدين . ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة والغسل أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأعظم ذلك الودائع » .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك .

(موعظة) عباد الله ! ماأشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما أجهل النفوس وقد أطعتموها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها . وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها ، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقير والفتيل[٤٠١] ، قبل أن تنزلوا بطون اللحود ، وتصيروا طعاماً للدود فى بيت بابة مسدود ، ولو قيل فيه للعاصى : ماتختار لقال أعود ولأعود .

أين أهل الديار من قوم نوح ... ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم فى التمارق والاستبـ ... ـرق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضاً ... وهو أدنى للموت ممن يعود

---

(٣٩٧) أخرجه البيهقى فى الشعب عن أبى أمامة .
(٣٩٨) أخرجه الترمذى عن أبى هريرة ، وسنده ضعيف .
(٣٩٩) أخرجه الحكيم الترمذى عن زيد بن ثابت . وسنده حسن .
(٤٠٠) أخرجه أحمد عن عياض بن حمار . وسنده صحيح .
(٤٠١) النقير : النقرة فى ظهر نواة التمر . والفتيل : الخيط الذى فى شق النواة .

[الكبيرة الأربعون : المنّان]

قال الله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى** ﴾[٤٠٢] .

قال الواحدى : هو أن يمن بما أعطى ، وقال الكلبى بالمن على الله فى صدقته والأذى لصاحبها ، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » . المسبل : هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين ؛ لأنه ﷺ قال : « **ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار** »[٤٠٣] وفى الحديث أيضاً : « **ثلاثة لايدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، المنان** » رواه النسائى . وفيه أيضاً : « **لايدخل الجنة خب ولا بخيل لا منان** »[٤٠٤] والخب هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذى يعطى شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **إياكم والمن بالمعروف ، فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر** »[٤٠٥] ، ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** ﴾[٤٠٦] . وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر أحسنت إليك وفعلت وفعلت . فقال له ابن سيرين اسكت فلا خير فى المعروف إذا أحصى . وكان بعضهم يقول مَن مَنَّ بمعروفه سقط شكره ، من أعجب بعمله حبط أجره . وأنشد الشافعى رحمه الله تعالى :

لاتحملن من الأنام . بأن يمنوا عليك منّه
واختر لنفسك حظها واصبر فإن الصبر جُنّه
منن الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنه[٤٠٧]

(٤٠٢) البقرة : ٢٦٤ .
(٤٠٣) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .
(٤٠٤) أخرجه أحمد عن أبى بكر . والخب : هو المخادع .
(٤٠٥) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .
(٤٠٦) البقرة : ٢٦٥ .
(٤٠٧) جنه : وقاية ، والأسنة : جمع سنان وهو الرمح .

وأنشد أيضاً بعضهم فقال :

وصاحب سلفت منه إلىّ يد أبطا عليه مكافاتى فعادانى
لما تيقن أن الدهر حاربنى أبدى الندامة مما كان أولانى
أفسدت بالمن ماقدمت من حسن ليس الكريم إذا أعط بمنان

(موعظة) يامبادراً بالخطايا ما أجهلك ! إلى متى تغتر بالذى أمهلك ، كأنه قد أهملك ؟ فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، وإذا الرحيل وقد أفزعك الملك ، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك . يامطمئناً بالفانى ماأكثر ذلك ، ويامعرضاً عن النصح كأن النصح ماقيل لك ، أين حبيبك الذى كان وأين انتقل ؟ أما وعظك التلف فى جسده والمقل ، أين كثير المال ، أين طويل الأمل ، أما خلا وحده فى لحده بالعمل . أين من جر ثوبه الخيلاء غافلا ورفل ؟ أما سافر به وإلى الآن ماوصل ، أين من تنعم فى قصره فكأنه فى الدنيا ماكان وفى قبره لم يزل أين من تفوق واحتفل ! غاب والله نجم سعوده وأفل . أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .

[الكبيرة الحادية والأربعون : التكذيب بالقدر]

قال الله تعالى : ﴿ إنا كلَّ شىء خلقناه بقدر ﴾[٤٠٨] . قال ابن الجوزى فى تفسيره : فى سبب نزولها قولان : أحدهما أن مشركى مكة أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية . انفرد بإخراجه مسلم وروى أبو أمامة أن هذه الآية فى القدرية . والقول الثانى أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يامحمد تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك فقال ﷺ : « أنتم خصماء الله »[٤٠٩] فنزلت هذه الآية :

(٤٠٨) القمر : ٤٩ .
(٤٠٩) عزاه السيوطى لابن مردويه .

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(410) .

وروى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون : أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار** »(411) . يقول الله ﴿ **ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾(412) ، وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون فى أنه لايجوز أن يقدِّر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها . وروى هشام بن حسام عن الحسن قال : والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل ، ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه فى سقر ، ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر .

وروى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عمر قال ، قال رسول الله ﷺ : « **كل شيء بقدر حتى العجز والكَيِس** » . وقال ابن عباس كل شيء خلقناه بقدر مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه ؛ قال الله تعالى : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾(413) قال ابن جرير : فيها وجهان ، أحدهما : أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم والثانى : أن تكون بمعنى الذى فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الأصنام ، وفى هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة . والله أعلم . وقال الله تعالى : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾(414) ، الإلهام : إيقاع الشيء فى النفس قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها . وقال ابن زايد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور . والله أعلم . وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله منّ على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم فى رحمته ، وابتلى قوما فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ماابتلاهم فعذبهم وهو**

(410) القمر : 47 — 49 .
(411) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وسنده ضعيف .
(412) القمر : 49 .
(413) الصافات : 96 .
(414) الشمس : 8 .

عادل »[٤١٥] ﴿ لايُسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾[٤١٦] . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **مابعث الله نبيًا قط وفى أمته قدرية ومرجئة ، إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيًا** »[٤١٧] . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **القدرية مجوس هذه الأمة** »[٤١٨] ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « **لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لاقدر ، وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيتهم فأخبرهم أنى منهم برىء وأنهم برآء منى** » ثم قال : « **والذى نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله ماقبل حتى يؤمن بالقدر خيره وشره** » ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبى ﷺ قال : ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره »[٤١٩] .

قوله : « **أن تؤمن بالله** » الإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال ، منزه عن صفات النقص ، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات ، متصرف فيها بما يشاء فى ملكه مايريد . والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله :

﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾[٤٢٠] .

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم ، وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته

---

(٤١٥) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .
(٤١٦) الأنبياء : ٢٣ .
(٤١٧) حديث ضعيف .
(٤١٨) أخرجه الحاكم وأبو داود .
(٤١٩) أخرجه مسلم ، والترمذى ، عن ابن عمر ، مع اختلاف فى اللفظ .
(٤٢٠) الأنبياء : ٢٦ ــ ٢٨ .

وبينوا للمكلفين ماأمرهم الله به ، وأنه يجب احترامهم ، وأن لايفرق بين أحد منهم .

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ، وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل . والإيمان بالقدر : هو التصديق بما تقدم ذكره ، وحاصله مادل عليه قوله سبحانه ﴿ **والله خلقكم وماتعملون** ﴾ وقوله ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ ، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** »[٤٢١] .

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لاريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقا ، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم .

(فصل) أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ .أولها : الرضا بقضا الله وقدره ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، والنهي عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين ، والمسح على الخفين ، والجهاد مع كل خليفة برا وفاجراً ، والصلاة على من مات من أهل القبلة .

والإيمان : قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام الله ، نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق ، والصبر تحت لواء السلطان على ماكان منه من عدل أو جور ، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ، ولا

---

(٤٢١) أخرجه الحاكم عن ابن عباس ، وسنده صحيح .

نكفر أحداً من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها ؛ ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبى ﷺ ، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ . وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على رضى الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبى ﷺ وأولاده وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

(فائدة) فيها من كلام الناس ماهو كفر صرحت به العلماء منها : مالو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده ، كفر ، ولو قال : لو أمرنى الله بكذا مافعلت كفر ، ولو صارت القبلة فى هذه الجهة ماصليت إليها ، كفر . ولو قيل له : لاتترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال لو أخذنى بها مع ما فىَّ من المرض والشدة لظلمنى كفر . ولو قال : لو شهدت عندى الأنبياء والملائكة بكذا ماصدقت كفر . لو قيل له : قلم أظافرك فإنها سنة ، فقال : لا أفعل وإن كانت سنة ، كفر . ولو قال : فلان فى عينى كاليهودى كفر . ولو قال : إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف ، كفر . وجاء فى وجه : من قال لمسلم : لاختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان ، كفر . وجاء أيضا أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال أريد أن تحلف بالطلاق كفر . واختلفوا فى من قال : رؤيتى لك كرؤية الموت فقال بعضهم ، يكفر . ولو قال لو كان فلان نبيًّا ماآمنت به ، كفر . ولو قال : إن كان ماقاله صدقاً نجونا ، كفر : ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالا ، كفر . ولو تنازع رجلان فقال أحدهما : لاحول ولاقوة إلا بالله فقال له الآخر : لاحول ولاقوة إلا بالله لاتغنى من جوع ، كفر . ولو سمع أذان المؤذن فقال : إنه يكذب ، كفر : ولو قال : لاأخاف القيامة ، كفر . ولو وضع متاعه فقال : سلمته إلى الله فقال له رجل : سلمته إلى من لايتبع السارق ، كفر . ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيها بالخطيب ، فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم : قصعة ثريد خير من العلم ، كفر . ولو ابتلى بمصائب فقال : أخذتَ مالى وولدى وماذا نفعل ، كفر . ولو

ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل : ألست بمسلم ؟ فقال : لا — متعمداً — كفر . ولو تمنى أن لا يحرّم الله الزنا أو القتل أو الظلم ، كفر . ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال : هذا زنار فالأكثرون على أنه يكفر . ولو قال معلم الصبيان : اليهود خير من المسلمين ، لأنهم يعطون معلمى صبيانهم ، كفر ولو قال : النصرانى خير من المجوسى ، كفر . ولو قيل لرجل : ما الإيمان ؟ فقال : لأدرى ، كفر . ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهى : لادين لك ، لاإيمان لك ، لايقين لك ، أنت فاجر ، أنت منافق ، أنت زنديق . أنت فاسق ، ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود فى النار .

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة ، إنه أرحم الراحمين .

(موعظة) عباد الله ! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا ؟ وتملوا من الشهوات وشبعوا ، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ماطمعوا ، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا ؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله مارجعوا ، فهم مفترقون فى القبور فإذا نفخ فى الصور اجتمعوا .

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهراً علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لابد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون فى البحر لايخشى لها فزع
والآدمى بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفرداً ... وخصمه الجلد والأبصار والسمع
وإذ يقومون والأشهاد قائمة ... والجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف فى الأيدى منشرّة ... فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنباء واقفة ... عما قليل وماتدرى بما تقع

أفى الجنان وفوز لاانقطاع له — أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طوراً وترفعهم — إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم — هيهات لارقية تغنى ولا جزع

[الكبيرة الثانية والأربعون : التسمع على الناس وما يسرون]

قال الله تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ قال ابن الجوزى — رحمه الله — قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء . قال أبو عبيدة : التجسس والتحسس واحد — وهو البحث — ومنه الجاسوس . وقال يحيى بن أبى كثير : التجسس — بالجيم — عن عورات الناس ، وبالحاء : الاستماع لحديث القوم . قال المفسرون : التجسس البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم . فالمعنى : لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره الله . وقيل لابن مسعود : هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً . قال : إنا نهينا عن التجسس ، فإن يظهر لنا شىء نأخذ به .

وقال رسول الله ﷺ : « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » . أخرجه البخارى ، والآنك : الرصاص المذاب . نعوذ بالله منه ، ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

(موعظة) عباد الله ! إن المنايا قد دقت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت ، رب شمس طالعة على القبر قد غربت ، يافراخ الفنا ! فخاخ البلى قد نصبت ، عباد الله : كل المعاصى قد سطرت وكتبت ، والنفوس رهينة ، بما جنت واكتسبت ، لها ماكسبت وعليها مااكتسبت : يامن يغتر بالأمانى والآمال الكواذب ، ومبارز بالقبائح ومايدرى من يحارب ، ياحاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب ؟ يامن عمره يفنى فى مره ويسرى كالنجائب ، يامن شاب وما تاب هذا من العجائب ، ياعجباً كيف نام المطلوب وماغفل الطالب ؟!

[الكبيرة الثالثة والأربعون : النمام]

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم . هذا بيانها:

وأما أحكامها فهى حرام بإجماع المسلمين ، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة ، قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾(٤٢٢) .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لايدخل الجنة نمام** » وفى الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين قال : « **إنهما ليعذبان يوماً وما يعذبان فى كبير، أما أنه كبير. أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز فى كل قبر واحدة ، وقال : لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا** »(٤٢٣) .

وقوله : ومايعذبان فى كبير أى ليس بكبير تركه عليهما ، أو ليس بكبير فى زعمهما ولهذا قال فى رواية أخرى : « بلى إنه كبير » وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال ، قال رسول الله ﷺ : « **تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين فى الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة** »(٤٢٤) . ومعنى كان ذا لسانين أى يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين قال الإمام أبو حامد الغزالى ــ رحمه الله ــ : إنما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله : فلان يقول فيك كذا . وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف مايكره كشفه ، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها ، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال ، وسواء كان عيباً أو غيره . فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه وينبغى للإنسان أن يسكت عن كل مارآه من أحوال الناس إلا

---

(٤٢٢) القلم : ١٠ ــ ١١ .

(٤٢٣) سبق تخريجه .

(٤٢٤) أخرجه الشيخان وغيرهما .

مافى حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية . قال : وكل من حملت إليه نميمة وقيل له : قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال : (الأول) : أن لايصدقه لأنه « نمام » فاسق وهو مردود الخبر . (الثانى) : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله . (الثالث) : أن يبغضه فى الله عز وجل ، فإنه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب . (الرابع) : أن لايظن فى المنقول عنه السوء ، لقوله تعالى : ﴿ **اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾ . (الخامس) : أن لا يحمله ماحكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولاتجسسوا** ﴾ . (السادس) : أن لايرضى لنفسه مانهى النمام عنه فلا يحكى نميمته . وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشىء فقال عمر : ياهذا إن شئت نظرنا فى أمرك . فإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾ ، وإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿ **هماز مشاء بنميم** ﴾ ، وإن شئت عفونا عنك . فقال : العفو ياأمير المؤمنين ، لاأعود إليه أبداً .

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد ــ رحمه الله ــ يحثه فيها على أخذ مال اليتيم ، وكان له مال كثير ، فكتب على ظهر الرقعة : النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال ثمّره الله ، والساعى لعنه الله .

وقال الحسن البصرى : من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس : من نقل إليك نقل عنك فاحذره . وقال ابن المبارك : ولد الزنا لايكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لايكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا ، استنباطاً من قول الله تعالى : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، والزنيم هو الدّعى .

وروى أن بعض السلف الصالحين زار أخاً له ، وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه ، فقال له : ياأخى أطلت الغيبة وأتيتنى بثلاث جنايات : بغضت

إلىّ أخى ، وشغلت قلبى بسببه ، واتهمت نفسك الأمينة . كان بعضهم يقول : من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك . وجاء رجل إلى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال : إن فلاناً شتمك وقال عنك كذا وكذا ، فقال : اذهب بنا إليه ، فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه ، فلما وصل إليه قال ، ياأخى إن كان ماقلت فىّ حقًّا فغفر الله لى ، وإن كان ماقلت فىّ باطلا فغفر الله لك . وقيل فى قوله الله تعالى : ﴿ **حمالة الحطب** ﴾ يعنى امرأة أبى لهب ، إنها كانت تنقل الحديث بالنميمة . سمى النميمة حطباً لأنها سبب العداوة ، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار . ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة . .

(حكاية) روى أن رجلا رأى غلاماً يباع وهو ينادى عليه : ليس به عيب إلا أنه نمام فقط ، فاستخف بالعيب واشتراه ، فمكث عنده أياماً ثم قال لزوجة سيده : إن سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى ، وقال : إنه لايحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ماعزم عليه فإذا نام فخذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك ، فقالت فى نفسها : نعم . واشتغل قلب المرأة ، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدى : إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحبًّا غيرك ومالت إليه ، وتريد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة ، وإن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به ، وصدقه سيده . فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال فى نفسه : والله صدق الغلام بما قال : فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه ، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم . فلذلك سمى الله النمام فاسقاً فى قوله تعالى :

﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا

فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[٤٢٥] .

(موعظة) يامن أسره الهوى فما يستطيع له فكاكاً ، ياغافلا عن التلف وقد أدركه إدراكاً ، يامغروراً بسلامته وقد نصب له الموت أشراكاً ، تفكر فى ارتحالك وأنت على حالك ؛ فإن لم تبك فتباكى .

بكيت فما تبكى شباب صباكا ... كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً ... مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوماً مر إلا كأنه ... بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفانى وقد حان حينه ... أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضى ويبقى ماتراه كما ترى ... فينساك ماخلفته ، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم ... وتنسى ويهوى الحى بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب ... إليك وإن باك عليك بكاكا
كأن الذى يحثو عليك من الثرى ... يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة ... عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة ... غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

[الكبيرة الرابعة والأربعون : اللعان]

قال النبى ﷺ : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »[٤٢٦] . وقال ﷺ : « **لعن المؤمن كقتله** » أخرجه البخارى . وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال « **لايكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة** » . وقال عليه الصلاة والسلام :« **لاينبغى لصديق أن يكون لعاناً** »[٤٢٧] . وفى الحديث « **ليس المؤمن بطعّان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذىء** »[٤٢٨] والبذىء :

---

(٤٢٥) الحجرات : ٦ .

(٤٢٦) اخرجه الشيخان عن ابن مسعود .

(٤٢٧) أ ـجه البخارى فى الأدب ، ومسلم ، عن أبى هريرة .

(٨ ـ) اخرجه البخارى فى الأدب عن ابن مسعود .

هو الذى يتكلم بالفحش ورديء الكلام . وعن رسول الله ﷺ قال : « **إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالا ، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذى لُعن إن كان أهلا لذلك ، وإلا رجعت إلى قائلها** »(٤٢٩) وقد عاقب النبى ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها ، قال عمران بن حصين : بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعنتها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال « **خذوا ماعليها ودعوها فإنها ملعونة** » قال عمران : فكأنى أنظر إليها الآن تمشى فى الناس مايعرض لها أحد . أخرجه مسلم . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم** »(٤٣٠) ، وعن عمرو بن قيس قال : إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بى رفيقاً رحيما ، فإذا لعنها قالت على أعصانا الله ورسوله لعنة الله عز وجل .

(فصل) فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين قال الله تعالى : ﴿ **ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾(٤٣١) . وقال ﴿ **ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾(٤٣٢) ، وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه** »(٤٣٣) . وأنه قال : « **لعن الله المحلل والمحلل له** »(٤٣٤) وأنه قال : « **لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة** »(٤٣٥) فالواصلة هى التى تصل شعرها ، والمستوصلة هى التى يوصل لها ، والنامصة : هى التى تنتف الشعر من الحاجبين ، والمتنمصة التى يفعل بها ذلك . وأنه ﷺ لعن الصالقة والحالقة والشاقة . فالصالقة : هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة هى التى تحلق شعرها عند المصيبة ،

(٤٢٩) أخرجه الترمذى عن أبى الدرداء ، وسنده حسن .
(٤٣٠) أخرجه أبو داود عن سعيد بن زيد .
(٤٣١) هود : ١٨ .
(٤٣٢) آل عمران : ٦١ .
(٤٣٣) أخرجه مسلم عن جابر .
(٤٣٤) أخرجه أبو داود عن على ، وسنده صحيح .
(٤٣٥) أخرجه البخارى .

والشاقة هى التى تشق ثيابها عند المصيبة وأنه ﷺ لعن المصورين ، وأنه لعن من غيَّر منار الأرض أى حدودها ، وأنه قال « **لعن الله من لعن والديه ، ولعن من سب أمه** » وفى السنن أنه قال « **لعن الله من أضل أعمى عن الطريق ولعن الله من أتى بهيمة ، ولعن من عمّل عمل قوم لوط** » وأنه لعن من أتى كاهناً ، أو أتى امرأة فى دبرها ، ولعن النائحة ومن حولها ، ولعن من أمّ قوماً وهم له كارهون ، ولعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ولعن رجلا سمع حى على الصلاة ، حى على الفلاح ثم لم يجب ، ولعن من ذبح لغير الله ، ولعن السارق ، ولعن من سب الصحابة ، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء . ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة ، ولعن من سل سخيمته على الطريق ، يعنى تغوط على طريق الناس ، ولعن من خبَّب امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده — يعنى أفسدها أو أفسده — ولعن من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها ، ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة ولعن مانع الصدقة يعنى الزكاة ، ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، ولعن من كوى دابة فى وجهها ، ولعن الشافع والمشفع فى حد من حدود الله ، إذا بلغ الحاكم ، ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ، ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ، ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا أمكنه ولعن الفاعل والمفعول به — يعنى اللواط — ولعن الخمرة وشاربها وساقيها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليها . وقال ﷺ : « **ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبى مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله ، والزائد فى كتاب الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتى ماحرم الله ، والتارك لسنتى** »[٤٣٦] . ولعن الزانى بامرأة جاره ، ولعن ناكح يده ، ولعن ناكح الأم وبنتها ، ولعن الراشى والمرتشى فى

(٤٣٦) أخرجه الحاكم عن عائشة ، وسنده ضعيف .

الحكم والرائش يعنى الساعى بينهما ، ولعن من كتم العلم ، ولعن المحتكر ، ولعن من أخفر مسلماً يعنى خذله ولم ينصره ، ولعن الوالى إذا لم يكن فيه رحمة ، ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لانتزوج ، والمتبتلات من النساء ، ولعن راكب الفلاة وحده ، ولعن من أتى بهيمة . نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله .

(فصل) اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين ، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين ، ونحو ذلك كما تقدم ، وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصى ، كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا ، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام ، وأشار الغزالى — رحمه الله — إلى تحريمه إلا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر ، كأبى لهب وأبى جهل وفرعون وهامان وأشباههم ، قال : لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله ومالدرى مايختم به لهذا الفاسق والكافر . قال : وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال « **اللهم العن رِعلا وذكوان وعُصيّة عصوا الله ورسوله** »[437] وهذه ثلاث قبائل من العرب ، فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر ، قال : ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان : لا أصح الله جسمه ولا سلمه الله ، وماجرى مجراه وكل ذلك مذموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لايستحق اللعن فليبادر بقوله : إلا أن يكون لا يستحق .

(فصل) ويجوز للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك : ويلك ، أو ياضعيف الحال ، أو ياقليل النظر لنفسه ، أو ياظالم نفسه ، أو ما أشبه ذلك ، بحيث لايتجاوز إلى الكذب ، ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقاً فى ذلك . وإنما يجوز

(٤٣٧) أخرجه مسلم عن خفاف بن أيماء .

ماقدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ، ويكون الكلام أوقع فى النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

(موعظة) ياقليل الزاد والطريق بعيد ، يامقبلا على مايضر تاركاً لما يفيد أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيِّع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد :

مضى أمسك شهيداً معدلاً وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد فرب غد يأتى وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود

[الكبيرة الخامسة والأربعون : الغدر وعدم الوفاء بالعهد]

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[438] .

قال الزجاج : كل ماأمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد . وقال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[439] .

قال الواحدى : قال ابن عباس فى رواية الوالبى : (العهود) يعنى ماأحل وما حرم ومافرض وماحد فى القرآن . وقال الضحاك بالعهود التى أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم ومافرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود ، وكذا العهود جمع عهد ، والعقد بمعنى المعقود وهو الذى أحكم مافرض الله علينا فقد أحكم ذلك ولاسبيل إلى نقضه بحال وقال مقاتل بن حيان : (أوفوا بالعقود) التى عهد الله إليكم فى القرآن ، مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها

(438) الإسراء : 34 .
(439) المائدة : 1 .

ونهيه الذى نهاكم عنه وبالعهود التى بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس ، والله أعلم . وقال النبى ﷺ : « **أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » مخرج فى الصحيحين . وقال رسول الله ﷺ : « **لكل غادر لواء يوم القيامة . يقال : هذه غدرة فلان ابن فلان** »[٤٤٠] ، وقال رسول الله ﷺ : « **يقول الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره** » : أخرجه البخارى وقال رسول الله ﷺ : « **من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** » أخرجه مسلم . وقال رسول الله ﷺ : « **من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه . ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر** »[٤٤١].

[الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم]

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾[٤٤٢]

قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى : (ولا تقف ماليس لك به علم) قال الكلبى : لاتقل ماليس لك به علم . وقال قتادة : لاتقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم . والمعنى : لا تقولن فى شىء بما لاتعلم . (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) قال الوالبى عن ابن عباس :

(٤٤٠) أخرجه الشيخان عن أنس .
(٤٤١) أخرجه النسائى وأحمد عن ابن عمرو .
(٤٤٢) الإسراء : ٣٦ .

يسأل الله العباد فيم استعملوها ؟ وفى هذا زجر عن النظر إلى مالايحل والاستماع إلى مايحرم وإرادة مالا يجوز، والله أعلم. وقال الله تعالى : ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾[٤٤٣]، قال ابن الجوزى : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لاشريك له فى ملكه (فلا يظهر) : أى فلا يطلع على غيبه الذى لايعلمه أحد من الناس إلا من ارتضى من رسول ، لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب . والمعنى : إن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ماشاء من الغيب ففى هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر . والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « **من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ »[٤٤٤] . وروينا فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم** » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب** » .

قال العلماء : إن قال مسلم مطرنا بنوء كذا ، يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر ، صار كافراً مرتداً بلا شك ، وإن قال مريداً أنه علامة نزول المطر ، وينزل المطر عند هذه العلامة ، ونزوله بفعل الله خلقه لم يكفر . واختلفوا فى كراهته ، والمختار أنه مكروه ، لأنه من ألفاظ الكفار . وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) : فى أثر سماء ـــ السماء هنا : المطر ، والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ : « **من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً** » رواه

---

(٤٤٣) الجن : ٢٦ ـــ ٢٧ .
(٤٤٤) أخرجه الحاكم وأحمد عن أبى هريرة .

مسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال : « **ليس بشيء** » . قالوا : يارسول الله أليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه (أى يلقيها) فيخلط معها مائة كذبة** » . مخرج فى الصحيحين . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الملائكة تنزل فى العنان — وهو السحاب — فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم** »رواه البخارى .

وعن قبيصة بن أبى المخارق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **العيافة والطّيَرة والطرق من الجبت** » رواه أبو داود وقال : الطرق : الزجر ، أى زجر الطير ، وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه . فإن طار إلى جهة اليمين تيامن، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم . قال أبو داود : العيافة الخط قال الجوهرى : الجبت : كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد** »[٤٤٥] ، وقال على بن أبى طالب : الكاهن ساحر والساحر كافر . فنسأل الله العافية والعصمة فى الدنيا والآخرة .

(موعظة) : عباد الله تفكروا فى سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا فى أموركم قبل حلول قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقرن الأخوان ، أين من شيد الإيوان ، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت فى اللحود تلك الأكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان ﴿ **كل من عليها فان** ﴾[٤٤٦] تقلبت بهم الأحوال ، ولعب بهم فى أيدى الليالى . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال . عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم فى المقال لقال :

---

(٤٤٥) أخرجه ابن ماجه وأبو داود عن ابن عباس .
(٤٤٦) الرحمن : ٢٦ .

من رآنا فليحدث نفسه	أنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها	ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريـــــق عليهم قدمت	وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهراً بعيش ناعم	ابيض دهرهـــم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم	وكذاك الدهر يودى بالرجال[٤٤٧]

[الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها]

قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** ﴾[٤٤٨] .

قال الواحدى ــ رحمه الله تعالى ــ : النشوز هاهنا : معصية الزوج ، وهو الترفع عليه بالخلاف : وقال عطاء : هو أن تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية . (فعظوهن) بكتاب الله ، وذكروهن ماأمرهن الله به ، (واهجروهن فى المضاجع) . قال ابن عباس : هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها . وقال الشعبى ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها ، (واضربوهن) ضربا غير مبرح . وقال ابن عباس : أدباً مثل اللكزة ، وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له ، مما ذكره الله فى هذه الآية (فإن أطعنكم) فيما يلتمس منهم (فلا تبغوا عليهن) .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل . وفى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى تصبح** » وفى لفظ ــ فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح ــ

---

(٤٤٧) عتاق الخيل : أجوادها ، وتردى : تكسى والجلال : مفرده الجلّ وهو يوضع على ظهر الدابة ، ويود : يهلك .
(٤٤٨) النساء : ٣٤ .

ولفظ الصحيحين أيضاً : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها » .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه ، فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو** »[٤٤٦] .

وعن الحسن قال حدثنى من سمع النبى ﷺ يقول : « **أول ماتُسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها** »[٤٥٠] . وفى الحديث : إن رسول الله ﷺ قال : « **لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه** » أخرجه البخارى . ومعنى شاهد أى حاضر غير غائب . وذلك فى صوم التطوع ، فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته . وقال ﷺ : « **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** » رواه الترمذى . وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبى ﷺ فقال : « **انظرى من أين أنت منه ؛ فإنه جنتك ونارك** » أخرجه النسائى . وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لاتشكر لزوجها وهى لاتستغنى عنه** »[٤٥١] . وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب** »[٤٥٢] ، وقال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة** »[٤٥٣] .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرادها ، لقول النبى ﷺ : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التنور** »[٤٥٤] . قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو

(٤٤٩) أخرجه البيهقى فى الشعب عن جابر .
(٤٥٠) أخرجه أبو الشيخ عن أنس .
(٤٥١) أخرجه الحاكم والنسائى .
(٤٥٢) أخرجه الطبرانى بنحوه عن ابن عباس .
(٤٥٣) أخرجه الحاكم وصححه عن أم سلمة .
(٤٥٤) أخرجه ابن حبان وأحمد عن طلق بن على .

نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ، ولايحل للرجل أيضا أن يطلب ذلك منها ، فى حال الحيض والنفاس ، ولا يجامعها حتى تغتسل ، لقول الله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَاتَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[455] أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن . قال ابن قتيبة : يطهرن ينقطع عنهن الدم ، فإذا تطرهن أى اغتسلن بالماء ، والله أعلم . ولما تقدم من قول النبى ﷺ : « **من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد** » وفى حديث آخر : « **ملعون من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها** »[456] . والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين ، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها فى حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك ، وينبغى للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف فى نفسها ولا فى ماله إلا بإذنه ، وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها ، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ، ولاتفتخر عليه بجمالها ، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه .

قال الأصمعى : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح . فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكونى تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع ، ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلنى ثوابه ولعلى أسأت فجعله عقوبتى .

وقالت عائشة رضى الله عنها : يامعشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمى زوجها بخد وجهها .

وقال ﷺ : « **نساؤكم من أهل الجنة الودود التى إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها فى كفه فتقول : لاأذوق غمضاً حتى ترضى** »[457] .

ويجب على المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجها ، وغض طرفها ، والطاعة لأمره ، والسكوت عند كلامه ، والقيام عند قدومه ، والابتعاد عن جميع

---

(٤٥٥) البقرة : ٢٢٢ .
(٤٥٦) أخرجه أبو داود عن أبى هريره .
(٤٥٧) أخرجه الدارقطنى فى الأفراد عن كعب بن عجرة .

مايسخطه ، والقيام معه عند خروجه ، وعرض نفسها عليه عند نومه ، وترك الخيانة له فى غيبته فى فراشه وماله وبيته ، وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ، ودوام الزينة بحضرته ، وتركها الغيبة ، وإكرام أهله واقاربه وترى القليل منه كثيراً .

(فصل) فى فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ، ينبغى للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها ، وتطلب رضاه جهدها ؛ فهو جنتها ونارها . لقول النبى ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة** »[٤٥٨] . وفى الحديث أيضاً : « **إذا صلت المرأة خمساً ، وصامت شهرها ، وأطاعت بعلها ، فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت** »[٤٥٩]

وروى عنه ﷺ أنه قال : « **يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء ، والحيتان فى الماء ، والملائكة فى السماء ، والشمس والقمر مادامت فى رضا زوجها . وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأيما امرأة كلحت فى وجة زوجها فهى فى سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه . وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع** »[٤٦٠] .

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضاً قال : « **أربع من النساء فى الجنة ، وأربع فى النار فأما الأربع اللواتى فى الجنة ، فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ، ذات حياء . إن غاب عنها حفظت نفسها وماله ، وإن حضر أمسكت لسانها عنه ، والرابعة امرأة مات عنها زوجها ، ولها أولاد صغار ، فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت**

---

(٤٥٨) سبق تخريجه .

(٤٥٩) أخرجه ابن حبان عن أبى هريرة .

(٤٦٠) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

إليهم ، ولم تتزوج خشية أن يضيعوا . وأما الأربع اللاتى فى النار من النساء ، فامرأة بذيئة اللسان على زوجها أى طويلة اللسان فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها ، وإن حضر آذته بلسانها . والثانية : امرأة تكلف زوجها مالايطيق . والثالثة : امرأة لاتستر نفسها من الرجال ، وتخرج من بيتها متبرجة . والرابعة : امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم ، وليس لها رغبة فى الصلاة ولا فى طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها »[٤٦١] . فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة ، وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار ، إلا أن تتوب إلى الله ، وقال النبى ﷺ : « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء »[٤٦٢] وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله ولأزواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها ، فإن سلمت هى بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبى ﷺ : « المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان »[٤٦٣] .

وأعظم ماتكون المرأة من الله ماكانت فى بيتها ، وفى الحديث أيضاً المرأة عورة فاحبسوها فى البيوت ، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدين ؟ قالت : أعود مريضاً ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها ، وماالتمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها . وقال على رضى الله عنه لزوجته فاطمة رضى الله عنها يافاطمة ماخير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها . وكان على رضى الله عنه يقول : ألا تستحون . ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها ! وكانت عائشة وحفصة رضى الله عنهما يوماً عند النبى ﷺ جالستين ، فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبى ﷺ : احتجبا منه ، فقالتا :

(٤٦١) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .
(٤٦٢) سبق تخريجه .
(٤٦٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر .

يارسول الله أليس هو أعمى لايبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ »[٤٦٤] .

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء . فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال ، كما تقدم من قول فاطمة رضى الله عنها : إن خير ما للمرأة أن لاترى الرجال ولا يروها . فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لابد لها منه ، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة فى ملحفة وسخة فى ثياب بيتها ، وتغض طرفها فى مشيتها ، وتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالا ، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية . وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات فى الدنيا ، وكانت تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرآها بعض أهلها فى المنام ، وقد عرضت على الله عز وجل فى ثياب رقاق فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها ، وقال : خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات فى الدنيا .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : دخلت على النبى ﷺ أنا وفاطمة رضى الله عنها ووجدناه يبكى بكاء شديداً ، فقلت له : فداك أبى وأمى يارسول الله ، ما الذى أبكاك ؟ قال : « **يا على ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت نساء من أمتى يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها . ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يُصب فى حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثدييها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار** » .

فقامت فاطمة رضى الله عنها وقالت : حبيبى وقرة عينى ، ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال ﷺ : « **يابنية أما المعلقة بشعرها**

(٤٦٤) أخرجه أحمد عن أم سلمة .

فإنها كانت لاتغطى شعرها من الرجال ، وأما التى كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذى زوجها ، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التى تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزىء بالصلاة .

وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة .

وأما التى على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة »(٤٦٥) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **لاتؤذى المرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله . ويابنية الويل لامرأة تعصى زوجها »**(٤٦٦) .

(فصل) : وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه ، فالزوج أيضاً مأمور بالإحسان إليها واللطف بها ، والصبر على مايبدو منها من سوء خلق وغيره ، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة ، لقول الله تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ ولقول النبى ﷺ : « **استوصوا بالنساء ، ألا إن لكم على نسائكم حقًا ولنسائكم عليكم حقًا . فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لايوطئن فرشكم من تكرهون . ولا يأذنّ فى بيوتكم لمن تكرهون »**(٤٦٧) .

وقوله ﷺ : « **عوانٍ** » أى أسيرات جمع عانية وهى الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة فى دخولها تحت حكم الرجل بالأسير .

وقال : « **خيركم خيركم لأهله** »(٤٦٨) ، وفى رواية « **خيركم ألطفكم بأهله** » وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء . وقال ﷺ : « **أيما رجل**

---

(٤٦٥) لم نقف عليه .
(٤٦٦) أخرجه أحمد وابن ماجه عن معاذ .
(٤٦٧) أخرجه مسلم عن جابر .
(٤٦٨) أخرجه الطبرانى عن ابن عباس .

صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ماأعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون »[٤٦٩] .

وقد روى أن رجلا جاء إلى عمر ـــ رضى الله عنه ـــ يشكو خلق زوجته ، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته ـــ وهو أمير المؤمنين ـــ فكيف حالى ؟ فخرج عمر فرآه مواليًا عن بابه فناداه وقال : ماحاجتك يارجل ؟ فقال ياأمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها علىّ فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت وقلت : إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : يا أخى إنى احتملتها لحقوق لها علىّ . إنها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى . وليس ذلك كله بواجب عليها ويسكن قلبى بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك . فقال الرجل : ياأمير المؤمنين وكذلك زوجتى قال عمر : فاحتملها ياأخى فإنما هى مدة يسيرة .

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ فى الله وكان من الصالحين ، يزوره فى كل سنة مرة ، فجاء لزيارته فطرق الباب ، فقالت امرأته : من ؟ فقال : أخو زوجك فى الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لارده الله ولا سلمه وفعل به وفعل ، وجعلت تذمذم عليه فبينما هو واقف على الباب ، وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه ، فجاء فسلم على أخيه ورحب به ، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها ، وزوجها لا يرد عليها ، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق

(٤٦٩) لم نقف عليه .

الباب فقالت امرأته : من بالباب ؟ قال : أخو زوجك فلان فى الله ، فقالت مرحباً بك وأهلا وسهلا ، اجلس فإنه سيأتى ــ إن شاء الله ــ بخير وعافية قال فتعجب من لطف كلامها وأدبها ، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك ، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف ، فلما أراد أن يفارقه قال : ياأخى أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه . قال : وماهو ياأخى ؟ قال : عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيراً ، ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد ، وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً لا تذمذم ، ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال ياأخى : توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابراً على خلقها ومايبدو منها . كنت معها فى تعب وأنا أتحملها ، فكان الله قد سخر لى الأسد الذى رأيت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها ، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة ، وأنا فى راحة معها ، فانقطع عنى الأسد ، فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهرى لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة . فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على مايحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير فى الثياب والحيطان والحجر والدراهم]

الأشياء سواء كانت من شمع أو عنجين أو حديد أو نحاس أو صوف أو وسائر غير ذلك ، والأمر بإتلافها .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً** ﴾[470] .

قال عِكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « **إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ،**

(470) الأحزاب : 57 .

يقال لهم (أحيوا ماخلقتم) » مخرج فى الصحيحين . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « **ياعائشة ، أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز وجل** » . قالت عائشة رضى الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين . مخرج فى الصحيحين . القرام بكسر القاف وهو الستر ، والسهوة كالصُّفة تكون بين يدى البيت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب فى نار جهنم** » مخرج فى الصحيحين ، وعنه رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول : « **من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبداً** »[٤٧١] ، وعنه ﷺ أنه قال : « **يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة ، أو ليخلقوا ذرة** » مخرج فى الصحيحين .

وقال ﷺ : « **يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول : إنى وكلت بثلاثة : بكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين** »[٤٧٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « **لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة** » مخرج فى الصحيحين .

وفى سنن أبى داود عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولاجنب** » وقال الخطابى — رحمه الله تعالى — قوله ﷺ : « **لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولاصورة ولا جنب** » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم

---

(٤٧١) أخرجه الشيخان .

(٤٧٢) أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة .

الحفظة ، فإنهم لايفارقون الجنب وغير الجنب ، وقد قيل : إنه لم يردِ الجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ، ولكنه الذى يجنب ولايغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذه عادة ؛ فإن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد ، وفى هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « **كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء** »(٤٧٣) .

وأما الكلب فهو أن يقتنى كلباً لا لزرع ولا لضرع ولا صيد ، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه فى بعض الأمور ، أو لحراسة داره إذا اضطر إليه ، فلا حرج عليه إن شاء الله .

وأما الصور فهى كل مصور من ذوات الأرواح ، سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة فى سقف أو جدار أو موضوعة فى نمط ، أو منسوخة فى ثوب أو مكان ، فإن قضية العموم تأتى عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق .

ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها روى مسلم فى صحيحه عن حيان بن حصين قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لاتدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنياحة وشق الثوب]

وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

رُوى فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية** » .

(٤٧٣) أخرجه أصحاب السنن .

ورُوى فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ « **برىء من الصالقة والحالقة والشاقة** » الصالقة : التى ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة ، التى تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، والشاقة ، التى تشق ثيابها عند المصيبة ، وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ، ولطم الخدود ، وخمش الوجه ، والدعاء بالويل والثبور .

وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ فى البيعة أن لاننوح . رواه البخارى ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى الأنساب ، والنياحة على الميت** » رواه مسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة . رواه أبو داود . وعن أبى بردة قال : وجع أبو موسى الأشعرى فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنّة ، فلم يستطع أن يرد عليها ، فلما أفاق قال أنا برىءٌ مما برىء منه رسول الله ﷺ ؛ إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة[474] .

وعن النغمان بن بشير رضى الله عنه قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول واكذا واكذا ، فقال حين أفاق : ماقلت شيئاً إلا قيل لى : أنت كذا أنت كذا ، أخرجه البخارى .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه** » .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : مامن ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واسيداه واجبلاه ، واكذا واكذا ، ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا أنت ؟ أخرجه الترمذى .

---

(٤٧٤) أخرجه الشيخان .

وقال ﷺ : « **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب** »[٤٧٥] . وقال ﷺ : « **إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين . صوت عند نغمة ولهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة خمش فى وجوه وشق فى جيوب ورنة شيطان** »[٤٧٦] ، وقال الحسن : صوتان ملعونان : مزمار عند نغمة ، ورنة عند مصيبة .

وقال رسول الله ﷺ : « **إن هذه النوائح يجعلن صفين فى النار فينبحن فى أهل النار كما تنبح الكلاب** »[٤٧٧] . وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره ، فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة ، فضربها حتى سقط خمارها ، وقال « اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها ، إنها تبكى بشجوكم ، إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم ، وإنها تؤذى موتاكم فى قبورهم ، وأحياءكم فى دورهم ؛ لأنها تنهى عن الصبر ، وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

واعلم أن النياحة رفع صوت بالندب وتعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء ، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة ، فليس حرام ، ورُوى فى صحيحى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم ، فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا . فقال « **ألا تسمعون أن الله لايعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم** » وأشار إلى لسانه . ورُوى فى صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ، قال له

---

(٤٧٥) احمد وابن ماجه عن أبى مالك .
(٤٧٦) أخرجه الترمذى عن جابر .
(٤٧٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وسنده ضعيف .

سعد : ماهذا يارسول الله ؟ قال « **هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** » . ورُوينا فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف . وأنت يارسول الله ؟ قال : يا ابن عوف « **إنها رحمة** » ، ثم أتبعها بأخرى فقال « **إن العين لتدمع والقلب يحزن ، ولانقول إلا مايرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون** » .

وأما الأحاديث الصحيحة : « **إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه** » فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هى مؤولة ، واختلف العلماء في تأويلها ، على أقوام : أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء إما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعى : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح «**فإذا وجبت فلا تبكين باكية**»، وقد نص الشافعى والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولايحرم ، وتأولوا حديث « فلا تبكين باكية » على الكراهة والله أعلم .

(فصل) وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر ، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ، ونهيا عن الجزع والسخط . قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾(٤٧٨) قال عطاء عن ابن عباس يقول إنى معكم أنصركم ولا أخذلكم قال الله تعالى : ﴿ **ولنبلونكم** ﴾ أى لنعاملنكم معاملة المبتلى ، لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقول الله : ﴿ **بشىء من الخوف والجوع** ﴾ قال ابن عباس : يعنى خوف العدو ، والجوع يعنى المجاعة والقحط، ﴿**ونقص من الأموال**﴾ يعنى الخسران والنقصان فى المال

(٤٧٨) البقرة : ١٥٣ .

وهلاك المواشى ، ﴿ **والأنفس** ﴾ بالموت والقتل والمرض والشيب ، ﴿ **والثمرات** ﴾ يعنى الجوائح ، وأن لاتخرج الثمرة كما كانت تخرج ، ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى : ﴿ **وبشر الصابرين** ﴾ ، ثم نعتهم فقال : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة** ﴾ أى نالتهم نكبة مما ذكر ، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة ﴿ **قالوا إنا لله** ﴾ عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ﴿ **وإنا إليه راجعون** ﴾(٤٧٩) بالهلاك وبالفناء ، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم ، إذ قد ملك فى الدنيا قوماً الحكم ، فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **مامن مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها** » رواه مسلم . وعن علقمة ابن مرثد بن سابط عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب** »(٤٨٠) . وقال رسول الله ﷺ : « **إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد** »(٤٨١) ، وعن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى مالعبدى عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة** » رواه البخارى .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من سعادة بنى آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى** »(٤٨٢) . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ، ومنهم الداعية بويلها . فيقول ملك الموت عليه السلام : « مم هذا الجزع ومم هذا

---

(٤٧٩) البقرة : ١٥٦ .
(٤٨٠) أخرجه الطبرانى عن سابط .
(٤٨١) أخرجه ابن حبان عن أبى موسى .
(٤٨٢) أخرجه الحاكم وأحمد عن سعد بن أبى وقاص ، وسنده ضعيف .

الفزع ؟ فوالله ماانتقصت لأحد منكم عمراً ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليَّ فإنى والله مأمور ، وإن كان على ميتكم فإنه مقهور ، وإن كان على ربكم فأنتم به كافرون ، وإن لى بكم عودة بعد عودة حتى لاأبقى منكم أحدا . قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم** » .

(فصل فى التعزية) عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال « **من عزى مصاباً فله مثل أجره** » رواه الترمذى .

وعن أبى بردة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها : « **من عزى ثكلى كُسى بردا من الجنة** » رواه الترمذى .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها : « **ماأخرجك يافاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به** »[٤٨٣] .

وعن عمرو بن حزم عن النبى ﷺ : « **مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة** »[٤٨٤] .

واعلم ـــ رحمك الله ـــ أن التعزية هى التصبير ، وذِكر مايسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته ، وهى مستحبة ؛ لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهى أيضاً داخلة فى قول الله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾[٤٨٥] وهذا من أحسن مايستدل به فى التعزية .

واعلم أن التعزية « هى الأمر بالصبر » مستحبة قبل الدفن وبعده . قال أصحاب الشافعى : من حين يموت الميت ، وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام قال

---

(٤٨٣) أخرجه النسائى وغيره .
(٤٨٤) أخرجه ابن ماجه ، وسنده حسن .
(٤٨٥) المائدة : ٢ .

أصحابنا : وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام ، لأن التعزية تسكن قلب المصاب ، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة ، فلا يجدد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا . وقال أبو العباس من أصحابنا : لابأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبداً وإن طال الزمان . قال النووى رحمه الله : والمختار أنها لاتفعل بعد ثلاثة أيام إلا فى صورتين استثناهما أصحابنا ، وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائباً حال الدفن ، واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله ، لأن أهل البيت مشغولون بتجهيزه ، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزعاً ، فإن رآه قدم التعزية ليسكّنهم ، والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعنى أن يجتمع أهل الميت فى بيت ليقصدهم من أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن مايعزى به ماروينا فى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابناً لها فى الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : « **ارجع إليها فأخبرها أن لله ماأخذ وله ماأعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب** » ، وذكر تمام الحديث . قال النووى رحمه الله : فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب ، والصبر على النوازل كلها ، والهموم والأسقام ، وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قوله ﷺ : « **إن لله ماأخذ** » أن العالم كله ملك لله ، لم يأخذ ماهو لكم بل هو أخذ ماهو له عندكم فى معنى العارية . وقوله : « **وله ماأعطى** » ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه ، بل هو له سبحانه يفعل فيه مايشاء « **وكل شىء عنده بأجل مسمى** » ، فلا تجزعوا فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا مانزل بكم . والله أعلم .

وعن معاوية بن إياس عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ : أنه فقد رجلا من أصحابه فسأل عنه ، فقالوا : يارسول الله ابنه الذى رأيته هلك ، فلقيه النبى ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك ، فعزاه عليه ثم قال : يافلان « **أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتى غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك ؟ فقال : يانبى الله يسبقنى إلى الجنة يفتحها لى وهو أحب إلىَّ . قال : فذلك لك . فقيل : يارسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال** « **بل للمسلمين عامة** »[٤٨٦] وعن أبى موسى عن النبى ﷺ أنه خرج إلى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكى فقال لها : « **يا أمة الله اتقى الله واصبرى** » قالت : ياعبد الله إنى أنا الحرى الثكلى . قال : « **ياأمة الله اتقى الله واصبرى** » قالت : ياعبد الله لو كنت مصاباً عذرتنى قال : « **ياأمة الله اتقى الله واصبرى** » قالت ياعبد الله قد أسمعتنى فانصرف . قال : فانصرف عنها رسول الله ﷺ وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها : ماقال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها : أتعرفينه ؟ قالت : لا والله . قال : ويحك ذلك رسول الله ﷺ ، فبادرت تسعى حتى أدركته ، فقالت : يارسول الله أصبر . قال : « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** »[٤٨٧] أى إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً . وفى صحيح مسلم : مات ابن لأبى طلحة من أم سليم ، فقالت لأهله : لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء أبو طلحة فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ماكانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : ياأبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك . قال : فغضب أبو طلحة ، فقال : تركتينى حتى إذا تلطخت أخبرتينى بابنى ، والله لاتغلبينى على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال

---

(٤٨٦) أخرجه الحاكم ، وسنده صحيح .
(٤٨٧) أخرجه أصحاب السنن عن أنس .

رسول الله ﷺ : « بارك الله لكما في ليلتكما » فذكر الحديث[٤٨٨] . وفي الحديث : « ماأعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر »[٤٨٩] . وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً وإلا سلوت كما تسلو البهائم . وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : إنك قد ذهب منك مارزئت به فلا يذهبن عنك ماعوضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة مايفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم أن مر الزمان يسلي المصاب ، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ الشافعي رضي الله عنه أن عبد الرحمن ابن مهدي — رحمه الله — مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً ، فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول : ياأخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ماتستقبحه من فعل غيرك ، واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعتا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك ياأخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، ألهمك الله عند المصائب صبراً وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب إليه يقول :

إني معزيك لا أني على ثقة   من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزَّى بباق بعد ميته   ولا المعزِّي ولو عاشا إلى حين

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه : أما بعد فإن الولد على والده ماعاش حزن وفتنة ، فإذا قدمه فصلاة ورحمة ، فلا تحزن على مافاتك من حزنه وفتنته ، ولا تضيع ماعوضك الله تعالى من صلاته ورحمته .

وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سلمة وعزاه بابنه : أسرك وهو بلية وفتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزى رجل رجلا فقال : إن من كان لك في الآخرة أجراً خير ممن كان في الدنيا سروراً وفرحاً .

---

(٤٨٨) أخرجه الشيخان عن أنس .
(٤٨٩) أخرجه النسائي عن أبي سعيد الخدري .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه دفن ابناً له ثم ضحك عند القبر ، فقيل له : أتضحك عند القبر ؟ فقال أردت أن أرغم الشيطان . وعن ابن جريج — رحمه الله — قال : من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم ، وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير — رحمه الله — يقول فى ابنه ونظر إليه : إنى أعلم خير خلة فيك ، قيل : وماهى ؟ قال : يموت فأحتنبه .

وعن الحسن البصرى رحمه الله : أن رجلا حزن على ولد له وشكا ذلك إليه فقال الحسن : كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم كانت غيبته أكثر من حضوره ، قال : فاتركه غائباً فإنه لم يغب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه . فقال : ياأبا سعيد هونت علىَّ وجدى على ابنى .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه فى وجعه فقال : يابنى كيف تجدك ؟ قال : أجدنى فى الحق . قال : يابنى لأن تكون فى ميزانى أحب إلىّ من أن أكون فى ميزانك . قال : ياأبت لأن يكون ماتحب أحب إلىّ من أن يكون ماأحب .

ومات ابن الإمام الشافعى فأنشد يقول :

وماالدهر إلا هكذا فاصطبر له ... رزية مال أو فراق حبيب

ووقعت فى رِجْل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة . إلا أنه قال : (**لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً**) وتمثل بهذه الآيات :

لعمرى ماأهويت كفّى لريبة ... ولا نقلتنى نحو فاحشة رجلى

ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ... ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى

وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى

وقال رضى الله عنه : اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت ، وإن كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضواً وأبقيت أعضاء وأخذت ابناً وأبقيت ابناء .

وقدم على الوليد فى تلك الليلة رجل أعمى من بنى عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة فى بطن واد ولم أعلم فى الأرض عبسياً يزيد ماله على مالى ، فطرقنا سيل فذهب ماكان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبى ، وكان البعير صعباً فندَّ (أى شرد) فاتبعته ، فما جاوزت الصبى إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فإذا رأس الصبى فى بطنه فقتله ، ثم اتبعت البعير لآخذه فنفحنى برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب عينى ، فأصبحت لا أهل لى ولا مال ولا ولد ولا بعير .

فقال الوليد : انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن فى الأرض من هو أشد منه بلاء .

وذكر أن عثمان رضى الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى أستعين بك عليهم ، وأستعينك على جميع أمورى ، وأسألك الصبر على ماابتليتنى .

وقال المدائنى : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلداً أنضر منها ولاأحسن وجهاً منها ، فقلت : تالله إما فعل هذا بك إلا الاعتدال والسرور ، فقالت : كلا والله إنى لبدع أحزان وخلف هموم ، وسأخبرك : كان لى زوج ، وكان لى منه ابنان ، فذبح أبوهما شاة فى يوم الأضحى والصبيان يلعبان ، فقال الأكبر للأصغر : اتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة قال : نعم . فذبحه ، فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه فى طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً فأفردنى الدهر . فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لو دام لى لدمت ، ولكنه كان جرحاً فاندمل .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من كان له فَرَطان من أُمتى دخل الجنة** » يعنى ولدين .

قالت عائشة رضى الله عنها : بأبى أنت وأمى فمن كان له فرط ؟ قال

ﷺ : « **ومن كان له فرط ياموفقة** » قلت : فمن لم يكن فرط من أمتك ؟ قال : « **أنا فرط أمتى لم يصابوا بمثلى** »[490] .

وعن أبى عبيدة رضى الله عنه عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قدّم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، كانوا له حصناً من النار** » فقال أبو الدرداء : قدمت اثنين ، قال : (واثنين) قال أُبىّ بن كعب سيد الفراء قدّمت واحداً . قال ﷺ : « **وواحداً ولكن ذلك فى أول صدمة** »[491] . وعن وكيع قال : كان لإبراهيم الحربى ابن وكان له عشر سنين ، قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً ، فمات فجئت أعزيه قال لى : كنت أشتهى موت ابنى هذا . قلت : ياأبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا ؟ قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث ! قال : نعم رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبياناً فى أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم ، وكان اليوم يوماً حارًّا شديداً حره ، قال فقلت لأحدهم : اسقنى من هذا الماء . قال : فنظر إلى ، وقال لى : ليس أنت أبى ، فقلت : ومن أنتم ؟ قال : نحن الصبيان الذين متنا فى الإسلام وخلفنا آبانا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته .

وروى مسلم عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة رضى الله عنه حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ، قال : نعم ، صغارهم دعاميص[492] الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه ، فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهى حتى يدخله الجنة .

وعن مالك بن دينار — رحمه الله تعالى — قال كنت فى أول أمرى مكبا على اللهو وشرب الخمر ، فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لى بنتاً فأحببتها حبا شديداً إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه ، فأهرقته بين يدى فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدنى

---

(490) أخرجه أحمد . (491) أخرجه ابن ماجه وأحمد .
(492) دعاميص : مفردها دعموص ، وهو اسم دويبة صغيرة تكون فى مستنقع الماء .

حزنها . قال ، فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر ، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبري ، وإذا بتنين قد تبعني يريد أكلي — والتنين الحية العظيمة — قال : فهربت منه فتبعني ، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي وأنا خائف منه ، فمررت في طريقي على شيخ نقي الثياب ضعيف ، فقلت ، ياشيخ بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلي وإهلاكي . فقال : ياولدي أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولاطاقة لي به ، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه . قال : فأسرعت في الهرب وهو ورائي ، فأشرفت على طبقات النار وهي تفور ، فكدت أن أهوى فيها ، وإذا قائل يقول : لست من أهلي فرجعت هارباً ، والتنين في أثري ، فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه فتحت الأبواب ورفعت الستور وأشرفت عليَّ منها أطفال بوجوه كالأقمار وإذا ابنتي معهم ، فلما رأتني نزلت إلي كفة من نور ، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً ، وجلست في حجري وقالت ياأبت ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**﴾(٤٩٣) . فقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت : نحن أعرف به منكم . قلت : يابنية ماتصنعون هاهنا ؟ قالت : نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنّا هاهنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا . فقلت : يابنية ماهذا التنين الذي يطاردني ويريد إهلاكي ؟ قالت : ياأبت ذلك عملك السوء قويته فأراد إهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته ؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين ، قال : ثم ارتفعت عني واستيقظت فتبت إلى الله من ساعتي .

فانظر — رحمك الله — إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغاراً ذكوراً كانوا أو إناثاً ، وإنما يحصل للوالدين النفع بهما في الآخرة : إذا صبروا واحتسبوا وقالوا :

---

(٤٩٣) الحديد : ١٦ .

الحمد لله إنالله وإنا إليه راجعون ، فيحصل لهم ماوعد الله تعالى بقوله : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله** ﴾ أى نحن وأموالنا يصنع بنا مايشاء ﴿ **وإنا إليه راجعون** ﴾[٤٩٤] إقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما أصاب عبداً مصيبة إلا بإحدى خلتين ، إما بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة . أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة** »[٤٩٥] .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة مالم تعط الأنبياء قبلهم : ﴿ (**إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ ، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول (**يا أسفى على يوسف**) .

وعن أم سلمة رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من قال عند المصيبة (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أؤجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا آجره الله وأخلف له خيراً منها** » قالت : فلما توفى أبو سلمة قالت : من خير من أبى سلمة ؟ ثم قلتها فأخلفنى الله رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

وعن الشعبى أن شريحاً قال : إنى لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات : أحمده إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده إذ رزقنى الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقنى للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها فى بيتى . وقوله ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** ﴾ الصلوات من الله الرحمة والمغفرة ﴿ **وأولئك هم المهتدون** ﴾[٤٩٦] يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل : إلى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : نعم العدلان ونعم العلاوة (**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**) نعم العدلان (**وأولئك هم المهتدون**) نعم العلاوة .

---

(٤٩٤) البقرة : ١٥٦ .
(٤٩٥) أخرجه ابن أبى الدنيا ، وسنده ضعيف .
(٤٩٦) البقرة : ١٥٧ .

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور ، أو لطم خدا ، أو شق جيباً ، أو نشر شعراً أو حلقه ، أو قطعه أو نتفه ، فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا كان أو امرأة .

وقد روى أيضا أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، وقد روى أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خدا أو شق جيباً أو نتف شعراً فكأنما رمحاً يريد أن يحارب ربه . وقد تقدم أن الله عز وجل لايعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا — يعنى مايقوله صاحب المصيبة بلسانه ، يعنى من الندب والنياحة . وقد تقدم أن الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصراه واكاسياه ، جبذ الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنواح حرام ، لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر ، وفيه مخالفة التسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى :

حكاية : قال صالح المرى : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت ، وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقاً حلقاً ، ونزلت عليهم أطباق مغطاة ، وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم . قال : فتقدمت إليه وقلت : ياشاب ماشأنك تعذب من هؤلاء القوم ؟ فقال : ياصالح بالله عليك بلّغ ماآمرك به ، وأد الأمانة ، وارحم غربتى ، لعل الله عز وجل أن يجعل لى على يديك مخرجاً : إنى لما مت ولى والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن على وينحن كل يوم ، فأنا معذب بذلك ، النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمى ، فلا جزاها الله عنى خيراً ، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال : ياصالح بالله اذهب إليها فهى فى المكان الفلانى ، وعلم لى المكان ، وقل لها : لم تعذبين ولدك ياأماه ، ربيتنى ومن الأسواء وقيتنى ، فلما مت فى العذاب رميتنى .

ياأماه لو رأيتينى : الأغلال فى عنقى ، والقيد فى قدمى ، وملائكة العذاب تضربنى وتنهرنى ، فلو رأيت سوء حالى لرحمتينى ، وإن لم تتركى ماأنت عليه من الندب والنياحة الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ، ويبرز الخلائق

لفصل القضاء . قال صالح : فاستيقظت فزعاً ، ومكثت فى مكانى قلقاً إلى الفجر . فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم إلا الدار التى لأم الصبى الشاب ، فاستدللت عليها فأتيتها ، فإذا بالباب مسدود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار . فطرقت الباب فخرجت إلى عجوز ، فقالت : ماتريد ياهذا ؟ فقلت : أريد ام الشاب الذى مات فقالت : وماتصنع بها هى مشغولة بحزنها فقلت : أرسليها إلىّ ، معى رسالة من ولدها . فدخلت فأخبرتها ، فخرجت أم وعليها ثياب سود ، ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم ، فقالت لى : من أنت ؟ قلت : أنا صالح المرى جرى لى البارحة فى المقابر مع ولدك كذا وكذا ، رأيته فى العذاب وهو يقول : ياأمى ربيتينى ومن الأسواء وقيتينى ، فلما مت فى العذاب رميتينى ، وإن لم تتركى ماأنت عليه الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء . فلما سمعت ذلك غشى عليها وسقطت إلى الأرض ، فلما أفاقت بكت بكاء شديداً ، وقالت : ياولدى يعز علىَّ ، ولو علمت ذلك بحالك مافعلت ، وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب ، وأخرجت إلىّ كيساً فيه دراهم كثيرة ، وقالت : ياصالح تصدق بهذه عن ولدى . قال صالح : فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم ، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتى فنمت . فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم . وأتتهم الأطباق ، وإذ ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضاً طبق فأخذه ، فلما رآنى جاء إلىّ فقال : ياصالح جزاك الله عنى خيراً ، خفف الله عنى العذاب ، وذلك بترك أمى ماكانت تفعل ، وجاءنى ماتصدقت به عنى . قال صالح : فقلت : وماهذه الأطباق ؟ فقال : هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له : هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أمى وأقرئها منى السلام . وقل لها جزاها الله عنى خيراً . قد وصل إلىّ ماتصدقت به عنى وأنت عندى عن قريب فاستعدى . قال صالح : ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب . وإذا بنعش موضوع

على الباب ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لأم الشاب ، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت .

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين ، ويلحقنا بالصالحين ، ويعصمنا من النار ؛ إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

[الكبيرة الخمسون : البغـي]

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[٤٩٧] .

وقال النبى ﷺ : « **إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لايبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد** » رواه مسلم .

وفى الأثر : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغى منهما دكاً .

وقال ﷺ : « **مامن ذنب أجدر أن يجعل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع مايدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم** »[٤٩٨] .

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه ، فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ** ﴾[*] إلى قوله : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ** ﴾[٤٩٩] الآية. قال ابن الجوزى رحمة الله: فى بغى قارون أقوال (أحدها) أنه جعل للبغية جعلا على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت ، فاستحلفها موسى ماقالت فأخبرته بقصتها مع قارون . وكان هذا بغيه قاله ابن عباس ، (والثانى) أنه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك . (والثالث) بالكفر قاله قتادة . (والرابع) أنه أطال ثيابه شبراً قاله عطاء الخراسانى ، أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بنى إسرائيل فظلمهم حكاه الماوردى .

---

(٤٩٧) الشورى : ٤٢ .
(٤٩٨) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ، عن أبى بكرة ، وسنده صحيح .
(*) القصص : ٧٦ .
(٤٩٩) القصص : ٨١ .

قوله : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ الآية ، لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ماسبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله إليه إنى قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها ، فقال موسى : ياأرض خذيه ، فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم ، فقال : ياأرض خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ، فمازال يقول ياأرض خذيه حتى غيبته . فأوحى الله إليه ياموسى وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته ! قال ابن عباس فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى . قال سمرة بن جندب : إنه كل يوم يخسف به قامة . قال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .

﴿ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ﴾ أى يمنعونه من الله ﴿ وما كان من المنتصرين ﴾ أى من الممتنعين مما أنزل به ، والله أعلم .

اللهم إنك إذا قبلتَ سلّمت ، وإذا أعرضت أسلمتَ ، وإذا وفقت أنست وإذا خذلت اتهمت .

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك ، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين .

[الكبيرة الحادية والخمسون : الاستطالة]

على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾[500] .

(٥٠٠) النساء : ٣٦ .

قال الواحدى فى قوله تعالى ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** ﴾ أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجانى بإسناده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى ﷺ على حمار ، فقال يامعاذ ، قلت ، لبيك وسعديك يارسول الله . قال : « **هل تدرى ماحق الله على العباد وماحق العباد على الله ؟** » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لايعذب من لايشرك به شيئاً** »(٥٠١) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أتى النبى ﷺ أعرابى فقال ، يانبى الله أوصنى ، قال « **لاتشرك بالله شيئاً وإن قطِّعت وحرِّقت ، ولاتدع الصلاة لوقتها ، فإنها ذمة الله ، ولاتشرب الخمر ؛ فإنها مفتاح كل شر** »(٥٠٢) .

قوله : ﴿ **وبالوالدين إحساناً** ﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ، ولا يغلظ لهما الجواب ، ولا يحد النظر إليهما ، ولا يرفع صوته عليهما ، بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدى السيد تذللا لهما . قوله ﴿ **وبذى القربى** ﴾ قال : يصلهم ويتعطف عليهم ، ﴿ **واليتامى** ﴾ يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم ، ﴿ **والمساكين** ﴾ ببذل يسير ورد جميل ، ﴿ **والجار ذى القربى** ﴾ يعنى الذى بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام ، ﴿ **والجار الجنب** ﴾ هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال : رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً أهله ، وقوم أجانب . والجنابة : البعد . عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «**مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول يارب أوسعت على أخى هذا وأقترت علىَّ أمسى طاوياً ويمسى هذا شعبان، لِمَ أغلق بابه عنى وحرمنى ماقد أوسعتَ به عليه**»(٥٠٣)

---

(٥٠١) أخرجه الشيخان عن أبى هريرة .

(٥٠٢) أخرجه عن أبى الدرداء ، وسنده صحيح .

(٥٠٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد عن ابن عمر .

﴿ **والصاحب بالجنب** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد هو الرفيق فى السفر له حق الجوار وحق الصحبة . ﴿ **وابن السبيل** ﴾ هو الضعيف يجب إقراؤه إلى أن يبلغ حيث يريد ، وقال ابن عباس هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك ﴿ **وما ملكت أيمانكم** ﴾ يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطىء وقوله : ﴿ **إن الله لايحب من كانِ مختالا فخوراً** ﴾ ، قال ابن عباس : يريد بالمختال العظيم فى نفسه الذى لايقوم بحقوق الله ، والفخور هو الذى يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشى فى حلة مختالا فخورا إذ إبتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة** »(٥٠٤) وعن أسامة قال : سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** »(٥٠٥) . هذا ماذكره الواحدى .

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا فى آخر مرضه يوصى بالصلاة ، وبالإحسان إلى المملوك ، ويقول : « **الله الله الصلاة وماملكت أيمانكم** »(٥٠٦) .

وفى الحديث : « **حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم** »(٥٠٧) وقال رسول الله ﷺ : « **لايدخل الجنة سيىء الملكة** »(٥٠٨) .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : كنت أضرب مملوكاً لى بالسوط فسمعت صوتاً من ورائى «**اعلم ياابن مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» قال ، قلت : يارسول الله لا أضرب مملوكا لى بعده أبداً . وفى رواية : سقط السوط من يدى من هيبة رسول الله ﷺ ، وفى رواية : فقلت هو حر لوجه

(٥٠٤) أخرجه الشيخان والدارمى عن ابى هريرة .
(٥٠٥) أخرجه أصحاب السنن .
(٥٠٦) أخرجه ابن حبان وأحمد عن أنس .
(٥٠٧) أخرجه أبو داود عن رافع ، وسنده ضعيف .
(٥٠٨) أخرجه ابن ماجه والترمذى عن أبى بكر .

الله، فقال: «**أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة**»، رواه مسلم.
وروى مسلم أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **من ضرب غلاماً له حدًّا لم يأته أو لطمه فكفارته أن يعتقه** »، ومن حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا** ».

وفى الحديث: « **من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة** »[509]، وقيل لرسول الله ﷺ: كم نعفو عن الخادم؟ قال: « **فى اليوم سبعين مرة** »[510].

وكان فى يد النبى ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً له فأبطأ عليه فقال: « **لولا القصاص لضربتك بهذا السواك** »[511]، وكان لأبى هريرة رضى الله عنه جارية زنجية فرفع يوماً عليها السوط فقال: لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفينى ثمنك، اذهبى فأنت حرة لوجه الله.

وجاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يارسول الله إنى قلت لأمتى: يازانية، قال: وهل رأيت عليها ذلك؟ قالت: لا. أما أنها ستستقيد منك يوم القيامة فرجعت إلى جاريتها فأعطتها سوطاً، وقالت: اجلدينى[512]. فأبت الجارية فأعتقتها ثم رجعت إلى النبى ﷺ فأخبرته بعتقها فقال: « عسى » أى عسى أن يكفر عتقك لها ما قذفتها به.

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « **من قذف مملوكه وهو برىء مما قاله جلد يوم القيامة حدًّا إلا أن يكون كما قال** ». وفى الحديث « **للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف مالايطيق** »[513]، وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه

(509) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد عن أبى هريرة.
(510) أخرجه الترمذى عن ابن عمر.
(511) أخرجه الطبرانى عن أم سلمة، وسنده صحيح.
(512) أخرجه الحاكم بنحوه عن عمرو بن العاص.
(513) أخرجه البيهقى وأحمد عن أبى هريرة.

من الدنيا ويقول : « **الله الله فى الصلاة وماملكت أيمانكم ، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ، ولا تكلفوهم من العمل مالايطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله ، فإنه ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم** »[٥١٤] .

ودخل جماعة على سلمان الفارسى رضى الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله ، فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضى الله عنه : إنا أرسلناها فى عمل فكرهنا أن تجمع عليها عملا آخر . وقال بعض السلف : لا تضرب المملوك فى كل ذنب ولكن احفظ له ذلك ، فإذا عصى الله فاضربه على معصية الله ، وذكره الذنوب التى بينك وبينه .

(فصل) ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده ، أو بينه وبين أخيه ؛ لما جاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة** »[٥١٥] . قال على كرم الله وجهه : وهب لى رسول الله ﷺ غلامين أخوين فبعث أحدهما ، فقال رسول الله ﷺ : « **رده رده** »[٥١٦] . ومن ذلك أن يجوّع المملوك والجارية والدابة يقول رسول الله ﷺ « **كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته** »[٥١٧] ، ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً وجيعاً أو يحبسها ولا يقوم بكفايتها ، أو يحمّلها فوق طاقتها ؛ فقد روى فى تفسير قول الله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾[٥١٨] الآية. قيل: يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينها ، حتى إنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، حتى يقاد للذرة من الذرة ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً ، فهنالك يقول الكافر : ياليتنى كنت ترابا وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبين بنى آدم ، حتى إن الإنسان لو ضرب دابة

---

(٥١٤) أخرجه الطبرانى وأحمد بنحوه عن زيد بن حارثة .
(٥١٥) أخرجه الحاكم وأحمد عن أبى أيوب .
(٥١٦) أخرجه الدارمى ، وسنده صحيح .
(٥١٧) أخرجه مسلم عن ابن عمرو .
(٥١٨) الانعام : ٣٨ .

بغير حق أو جوّعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ماظلمها أو جوعها . والدليل على ذلك ماثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عذبت امرأة فى هرة ربطتها حتى ماتت جوعاً . لاهى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض** » أى من حشراتها .

وفى الصحيح أنه ﷺ رأى امرأة معلقة فى النار والهرة تخدشها فى وجهها وصدرها وهى تعذبها كما عذبتها فى الدنيا بالحبس والجوع ، وهذا عام فى سائر الحيوان وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها ، فقالت : إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث** » . فهذه بقرة أنطقها الله فى الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لاتؤذى ولا تستعمل فى غير ماخلقت له ، فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الدارانى : ركبت مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثاً ، فرفع رأسه ونظر إلىّ وقال : ياأبا سليمان هو القصاص يوم القيامة ، فإن شئت فأقلل ، وإن شئت فأكثر . قال : فقلت لا أضرب شيئاً بعده أبداً . ومر ابن عمر بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ؛ إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً ، والغرض كالهدف ومايرمى إليه ، نهى رسول الله ﷺ أن تصبّر البهائم يعنى أن تحبس للقتل ، وإن كان مما أذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور ، قتله بأول دفعة ولا يعذبه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « **إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبحة ، وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** »[٥١٩] .

(٥١٩) أخرجه أصحاب السنن عن شداد بن أوس .

وكذلك لايحرقه بالنار لما ثبت فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **إنى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار ، وإن النار لايعذب بها إلا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما** » .

قال ابن مسعود : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفرة فانطلق لحاجته فرأينا حمرة(٥٢٠) معها فرخان فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف ، فجاء النبى ﷺ وقال : « **من فجع هذه بولدها ؟ ردوا عليها ولديها ، ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل ــ أى مكان نمل ــ قد أحرقناها فقال : من حرق هذه ؟ قلنا : نحن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها** »(٥٢١) . وفيه من النهى عن القتل والتعذيب بالنار حتى فى القملة والبرغوث وغيرهما .

(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثاً لما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « **من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة ، وقال : يارب سل هذا لِمَ قتلنى عبثاً ولم يقتلنى لمنفعة ؟** »(٥٢٢) .

ويكره صيد الطير أيام فراخه ، لما روى ذلك فى الأثر ، ويكره ذبح الحيوان بين يدى أمه ؛ لما روى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، قال : ذبح رجل عجلا بين يدى أمه فأيبس الله يده .

(فصل) فى فضل عتق المملوك . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه** » أخرجه البخارى .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **أيما امرىء مسلم أعتق امرأ مسلماً كان فكاكاً له من النار يجزى كل عضو منه عضواً منه ، وأيما**

---

(٥٢٠) نوع من العصافير .

(٥٢١) أخرجه الحاكم عن ابن مسعود .

(٥٢٢) أخرجه الدارمى والنسائى عن ابن عمرو .

امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضواً منه ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة إلا كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها عضواً منها » رواه الترمذى وصححه .

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

[الكبيرة الثانية والخمسون : أذى الجار]

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **والله لايؤمن والله لايؤمن قيل : من يارسول الله ؟ قال : من لايأمن جاره بوائقه** » أى غوائله وشروره . وفى رواية : « **لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه** » وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : « **أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، وأن تزنى بحليلة جارك** »[٥٢٣] وفى الحديث : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره** »[٥٢٤] . والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب ، له حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق القرابة ، وجار مسلم ، له حق الجوار ، وحق الإسلام ، والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر رضى الله عنهما له جار يهودى ، فكان إذا ذبح الشاة يقول : احملوا إلى جارنا اليهودى منها . وروى أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة ويقول : يارب سل هذا لِمَ منعنى معروفه وأغلق عنى بابه .

ينبغى للجار أن يحمل أذى الجار ، فهو من جملة الإحسان إليه . جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله دلنى على عمل إذا قمت به دخلت الجنة . فقال : « **كن محسناً** » ، فقال : يارسول كيف أعلم أنى محسن ؟ قال : « **سل جيرانك فإن قالوا : إنك محسن فأنت محسن ، وإن قالوا : إنك**

(٥٢٣) أخرجه الشيخان عن ابن مسعود .
(٥٢٤) أخرجه أحمد والشيخان عن أبى هريرة .

مسىء فأنت مسىء » ذكره البيهقى من رواية أبى هريرة وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لايأمن جاره بوائقه** »[٥٢٥] . وقيل : لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره ، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره . وفى سنن أبى داود من رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جارَه فقال له « **اذهب فاصبر** » ، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ثم قال « **اذهب فاطرح متاعك على الطريق** » ففعل ، فجعل الناس يمرون به ، ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره ، فجعلوا يلعنون جاره ويقولون : فعل الله به وفعل ويدعون عليه ، فجاء إليه جاره وقال : ياأخى ارجع إلى منزلك فإنك لن ترى ماتكره أبداً .

وأن يحتمل أذى جاره وإن كان ذميًّا ، فقد روى عن سهل بن عبد الله التُّسترى رحمه الله أنه كان له جار ذمى ، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت فى دار سهل بثق ، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع مايسقط فيه من كنيف المجوسى ويطرحه بالليل حيث لايراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلا إلى أن حضرت سهلا الوفاة ، فاستدعى جاره المجوسى وقال له : ادخل ذلك البيت وانظر مافيه ، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه فى الجفنة ، فقال ماهذا الذى أرى ؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ، ولولا أنه حضرنى أجلى ، وأنا أخاف أن لاتتسع أخلاق غيرى لذلك وإلا لم أخبرك فافعل ماترى ، فقال المجوسى أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى ؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم مات سهل رحمه الله .

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال ، وأن يحسن عاقبتنا ؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

---

(٥٢٥) أخرجه ابن عدى فى الكامل عن ابن عمرو ، وسنده ضعيف .

[الكبيرة الثالثة والخمسون : أذى المسلمين وشتمهم]

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَااكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ﴾(٥٢٦) . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَايَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٥٢٧) . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضا ﴾(٥٢٨) .

وقال ﷺ : « **إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه** »(٥٢٩) وقال ﷺ : « **عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقترض بعرض أخيه فذلك الذى حرج أو هلك** »(٥٣٠) .

وفى الحديث « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** »(٥٣١) . وقال عليه الصلاة والسلام « **المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم** »(٥٣٢) . وفيه أيضاً « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »(٥٣٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يارسول إن فلانة تصلى الليل ، وتصوم النهار ، وتؤذى جيرانها بلسانها . فقال « **لاخير فيها هى فى النار** » صححه الحاكم . وفى الحديث أيضاً « **اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم** »(٥٣٤) . وقال رسول الله ﷺ « **من دعا رجلا بالكفر أو قال ياعدو الله وليس كذلك إلا حار عليه** »(٥٣٥) . وقال عليه الصلاة والسلام « **مررت ليلة أسرى بى بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم**

---

(٥٢٦) الأحزاب : ٥٨ .
(٥٢٧) الحجرات : ١١ .
(٥٢٨) الحجرات : ١٢ .
(٥٢٩) أخرجه الترمذى وأبو داود عن عائشة .
(٥٣٠) أخرجه الطيالسى وأحمد عن آسامة بن شريك .
(٥٣١) أخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة .
(٥٣٢) أخرجه الترمذى وأحمد .
(٥٣٣) أخرجه النسائى عن ابن مسعود .
(٥٣٤) أخرجه البيهقى والحاكم عن ابن عمر .
(٥٣٥) أخرجه الشيخان عن أبى ذر .

وصدورهم ، فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال « هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »(٥٣٦) .

(فصل) فى الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب؟: صح عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم »(٥٣٧) ، فكل من حرش بين اثنين من بنى آدم ونقل بينهما مايؤذى أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس ، كما قال النبى ﷺ « ألا أخبركم بشراركم قالوا : بلى يارسول الله ، قال : شراركم المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت »(٥٣٨) والعنت : المشقة وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لايدخل الجنة نمام »(٥٣٩) ، والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس وبين اثنين بما يؤذى أحدهما ، أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه ، بأن يقول له : قال عنك فلان : كذا وكذا ، وفعل كذا وكذا ، إلا أن يكون فى ذلك مصلحة أو فائدة ، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب ، وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرهما ، فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وماأشبه ذلك ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله . ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها ، والعبد على سيده . لما روى أن رسول الله ﷺ قال : « من خبّب امرأة على زوجها ، أو عبداً على سيده »(٥٤٠) نعوذ بالله من ذلك .

(فصل) فى الترغيب فى الإصلاح بين الناس ، قال الله تعالى : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ . وَمَنَ يفعل ذلكِ ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾(٥٤١) . قال مجاهد : هذه الآية عامة بين الناس ، يريد أنه لاخير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه

(٥٣٦) أخرجه الضياء المقدسى وأحمد عن أنس .
(٥٣٧) أخرجه مسلم عن جابر .
(٥٣٨) أخرجه الطبرانى وابن أبى شيبة عن ابن غنم .
(٥٣٩) أخرجه الشيخان عن حذيفة .
(٥٤٠) أخرجه الضياء وأحمد عن ابن عباس .
(٥٤١) النساء : ١١٣

من الحديث إلا ماكان من أعمال الخير ، وهو قوله ﴿ **إلا من أمر بصدقة** ﴾ ثم حذف المضاف ﴿ **أو معروف** ﴾ قال ابن عباس : بصلة الرحم وبطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف ؛ لأن العقول تعرفها . قوله تعالى ﴿ **أو إصلاح بين الناس** ﴾ هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبى أيوب الأنصارى : « **ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم** » . قال : بلى يارسول الله . قال : « **تصلح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقرب بينهم إذا تباعدوا** »(٥٤٢) . وروت أم حبيبة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « **كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ماكان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله** »(٥٤٣) .

وروى أن رجلا قال لسفيان : ماأشد هذا الحديث ! قال سفيان : ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ **لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف** ﴾ الآية . فهذا هو بعينه .

ثم علم سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ماعند الله قال الله تعالى : ﴿**ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً**﴾ أى ثواباً لا حد له .

وفى الحديث « **ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً** » رواه البخارى . وقالت أم كلثوم : ولم أسمعه ﷺ يرخص فى شىء مما يقول الناس إلا فى ثلاثة أشياء : فى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها(٥٤٤) . وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس معه من أصحابه ، رواه البخارى .

---

(٥٤٢) أخرجه الطبرانى عن انس .
(٥٤٣) أخرجه البيهقى والحاكم عن أم حبيبة .
(٥٤٤) أخرجه مسلم عن أم كلثوم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ماعمل شىء أفضل من مشى إلى الصلاة أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين** »(٥٤٥) .

وقال رسول الله ﷺ : « **من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره ، وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ، ورجع مغفوراً ، ماتقدم من ذنبه** »(٥٤٦) وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك ياأرحم الراحمين .

[الكبيرة الرابعة والخمسون :

أذية عباد الله والتطول عليهم]

قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَااكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾(٥٤٧) . وقال الله تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين** ﴾(٥٤٨) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال : « **من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب** » ، وفى رواية « **فقد بارزنى بالمحاربة** »(٥٤٩) ، أى أعلمته أنى محارب له . وفى الحديث : إن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا : ماأخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره ، فقال : ياأبا بكر لعلك أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك . فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال : ياإخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك ياأخى »(٥٥٠) . وقولهم مأخذها ، أى لم تستوف حقها منه .

---

(٥٤٥) أخرجه الأصبهانى عن أبى هريرة ، وسنده ضعيف .
(٥٤٦) أخرجه الأصبهانى عن أنس .
(٥٤٧) الأحزاب : ٥٨ .
(٥٤٨) الشعراء : ٢١٥ .
(٥٤٩) أخرجه البيهقى وأبو نعم ، عن أبى هريرة .
(٥٥٠) أخرجه مسلم عن عائذ بن عمرو .

(فصل) فى قوله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[٥٥١]

الآيات ، وهذه الآيات فى تفضيل الفقراء ، وسبب نزولها أن النبى ﷺ أول من آمن به الفقراء ، وكذلك كل نبى أرسل أول من آمن به الفقراء ، فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضى الله عنهم ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء ، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يامحمد اطرد الفقراء عنك ، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم ، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشراف الناس ورؤساؤهم[٥٥٢] ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[٥٥٣] .

فلما أيس المشركون من طردهم قالوا : يامحمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُم تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٥٥٤] .

أى لا تتعدّهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلباً لصحبة أبناء الدنيا .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُم فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٥٥٥] .

ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ﴾[٥٥٦] ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٥٥٧] فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم .

---

(٥٥١) الكهف : ٢٨ .
(٥٥٢) أخرجه مسلم عن سعد بن أبى وقاص .
(٥٥٣) الانعام : ٥٢ .
(٥٥٤) الكهف : ٢٨ .
(٥٥٥) الكهف : ٢٩ .
(٥٥٦) الكهف : ٣٢ .
(٥٥٧) الكهف : ٤٥ .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صُفّة المسجد مقيمين متبتلين ، فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمى إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا — رضى الله عنهم . هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان ، فلم يعلقوا قلوبهم بشىء من الأكوان ، بل قالوا : إياك نعبد ، ولك نخضع ونسجد ، وبك نهتدى ، ونسترشد ، وعليك نتوكل ونعتمد ، وبذكرك نتنعم ونفرح ، وفى ميدان ودك نرتع ونسرح ، ولك نعمل ونكدح ، عن بابك أبداً لانبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة ﴾[558] الاية ، أى : ولا تطرد قوماً أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون ، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون . لاتطرد قوماً المساجد مأواهم ، والله مطلوبهم ومولاهم ، والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس إدامهم ، والفقر والفاقة شعارهم ، والمسكنة والحياء دثارهم . ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم ، وبسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم ، فالفقر عام وخاص ، فالعام : الحاجة إلى الله تعالى ، وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللَّهِ﴾[559] الآية، والخاص : وصف أولياء الله وأحبائه ، خلوّ اليدين من الدنيا ، وخلو القلب من التعلق بها ، اشتغالا بالله عز وجل وشوقاً إليه ، وأنسا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك ، واقطع عنا كل مايبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا مايسرته لأهل محبتك ، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين .

[الكبيرة الخامسة والخمسون : إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل تعززا وعجبا وفخرا وخيلاء]

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[560] .

(558) الأنعام : 52 . (559) فاطر : 15 . (560) لقمان : 18 .

وقال النبى ﷺ : « ماأسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار »(٥٦١) . وقال عليه الصلاة والسلام « لاينظر الله إلى من جر إزاره بطراً »(٥٦٢) . وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »(٥٦٣) .

وفى الحديث أيضا : « بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجِّل رأسه يختال فى مشيه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة »(٥٦٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ،(٥٦٥) وقال ﷺ : « الإسبال فى الإزار والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »(٥٦٦) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ماكان أسفل من الكعبين فهو فى النار »(٥٦٧) .

وهذا عام فى السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجيه وغيرها من اللباس . فنسأل الله العافية ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بينما رجل يصلى مسبلا إزاره قال له رسول الله : اذهب فتوضأ ، ثم جاء فقال : اذهب فتوضأ فقال له رجل : يارسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ ثم سكت عنه فقال : إنه كان يصلى وهو مسبل إزاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً إزاره »(٥٦٨) .

ولما قال ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنك لست ممن يفعله خيلاء »(٥٦٩) .

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك ياأرحم الراحمين .

---

(٥٦١) سبق تخريجه .
(٥٦٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .
(٥٦٣) سبق تخريجه .
(٥٦٤) أخرجه البخارى عن ابن عمر .
(٥٦٥) أخرجه أصحاب السنن عن ابن عمر .
(٥٦٦) أخرجه الطبرانى عن ابن عمر .
(٥٦٧) أخرجه مالك وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى .
(٥٦٨) أخرجه أحمد وأبو داود عن أبى هريرة .
(٥٦٩) أخرجه البخارى عن ابن عمر .

[الكبيرة السادسة والخمسون : لبس الحرير والذهب للرجال]

في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة** » وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله ﷺ : « **حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي** »[٥٧٠] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها ، أخرجه البخاري .

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر ، وإنما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حِكة أو جرب أو غيره ، وللمقاتلين عند لقاء العدو . وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين . سواء كان قباء أو قبطياً أو كلوثة وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراماً ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال ، سواء كان خاتماً أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله . وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتماً من ذهب فنزعه وقال : « **يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده** »[٥٧١] ، وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز إلباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع آخرون ، لعموم قوله ﷺ عن الحرير والذهب : « **هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم** »[٥٧٢] ، فدخل الصبي في النهي ، وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين — رحمهم الله .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة السابعة والخمسون : إباق العبد]

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة** » وقال ﷺ : « **أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة** »[٥٧٣] .

(٥٧٠) أخرجه ابن ماجه عن أبي موسى .
(٥٧١) أخرجه مسلم والطبراني وابن ماجه عن ابن عباس
(٥٧٢) أخرجه ابن ماجه وأحمد عن علي .
(٥٧٣) أخرجه أحمد عن جرير .

وروى ابن خزيمة فى صحيحه من حديث جابر قال ، قال رسول الله ﷺ : **« ثلاثة لايقبل الله لهم صلاة ولايصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو »**(٥٧٤) . وعن فضالة بن عبيد مرفوعاً : **« ثلاثة لايسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ، وعبد آبق ومات عاصيا ، وامرأة عاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة ، فتبرجت بعده »** ــ أى أظهرت محاسنها كما فعل أهل الجاهلية ، وهم مابين عيسى ومحمد ﷺ . كذا ذكره الواحدى ــ رحمه الله .

[الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل]

مثل من يقول : باسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان . قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ** ﴾(٥٧٥) .

قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله : ﴿**وَمَاذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾(٥٧٦) وقال الكلبى : مالم يذكر اسم الله عليه ، أو يذبح لغير الله تعالى وقال عطاء ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان . وقوله : ﴿**إنه لفسق**﴾ يعنى : وإن كل مالم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوا**﴾ أى يوسوس الشيطان لوليه فيلقى فى قلبه الجدال بالباطل ، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين فى الميتة . قال ابن عباس : أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس كيف تعبدون شيئاً لاتأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿**وإنْ أطعتموهم**﴾ يعنى فى استحلال الميتة ﴿**إنكم لمشركُونَ**﴾(٥٧٧) ، قال الزجاج : وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك .

---

(٥٧٤) أخرجه البيهقى فى الشعب .
(٥٧٥) الأنعام : ١٢١ .
(٥٧٦) المائدة : ٣ .
(٥٧٧) الأنعام : ١٢١ .

فإن قيل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص فى التحريم ؟ قلت : إن المفسرين فسروا مالم يذكر اسم الله عليه فى هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفى الآية أشياء تدل على أن الآية فى تحريم الميتة ، ومنها قوله ﴿**وإنه لفسق**﴾ ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .

ومنها قوله ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم**﴾ والمناظرة إنما كانت فى الميتة بإجماع من المفسرين ، لا فى ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ، ومنها قوله : ﴿**وإن أطعتموهم إنكم لمشركون**﴾ والشرك فى استحلال الميتة لا فى استحلال الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها .

وقد أخبرنا أبو منصور بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله تعالى ؟ فقال النبى ﷺ « **اسم الله على فم كل مسلم** » .

وأخبرنا أبو منصور أيضاً بإسناده عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « **يكفيه اسمه وإن نسى يسمى حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل** » .

وأخبرنا عمرو بن أبى عمرو بإسناده عن عائشة رضى الله عنها أن قوماً قالوا : يارسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **سموا عليه وكلوا** » ، هذا آخر كلام الواحدى — رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ : « **لعن الله من ذبح لغير الله** » .

[الكبيرة التاسعة والخمسون : فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم]

عن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **من إدعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام** » رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لاترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر** » رواه البخارى .

وفيه أيضاً : « **من ادعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله** »[٥٧٨] . وعن زيد بن شريك قال : رأيت عليًّا رضى الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول : والله ماعندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى ومافى هذه الصحيفة فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل وشىء من الجراحات ، وفيها : قال رسول الله ﷺ « **المدينة حرام مابين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله يوم القيامة منه صرفاً ولا عدلا ، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك ، وذمة المسلمين واحدة** » رواه البخارى . وعن أبى ذر أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **ليس منا رجلا ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادعى ماليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ، ومن دعا رجلا بالكفر ، أو قال : ياعدو الله وليس كذلك إلا حار عليه** » أى رجع عليه ، ورواه مسلم . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى ، إنه جواد كريم .

[الكبيرة الستون : الجدل والمراء واللّدد]

قال الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الْأَرْضِ لِيُفسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾[٥٧٩] .

ومما يذم من الألفاظ : المراء ، والجدال ، والخصومة .

قال الإمام « حجة الإسلام » الغزالى رحمه الله : « المراء : طعنك فى كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه . وقال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . قال : وأما الخصومة فلجاج فى الكلام ليستوفى به مقصوداً عن مال أو غيره ، وتارة يكون ابتداء ، وتارة يكون اعتراضاً . والمراء لايكون إلا اعتراضاً . هذا كلام الغزالى .

(٥٧٨) أخرجه أبو داود عن أنس .
(٥٧٩) البقرة : ٢٠٤ — ٢٠٥ .

وقال النووى رحمه الله : اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥٨٠]، وقال تعالى : ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥٨١] ، وقال الله تعالى : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٥٨٢] ، قال : فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا ، وإن كان فى مدافعة الحق ، أو كان جدالا بغير علم كان مذموماً ، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة فى إباحته وذمه . والمجادلة والجدال معنى واحد . قال بعضهم : مارأيت شيئاً أذهب للدين ، ولا أنقص للمروءة ، ولا أشغل للقلب من الخصومة .

(فإن قلت) لابد للإنسان من الخصومة لابتغاء حقوقه ، (فالجواب) ما أجاب به الغزالى رحمه الله : اعلم أن الذم للتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم ، كوكيل القاضى ، فإنه يتوكل فى الخصومة قبل أن يعرف الحق فى أى جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل فى الذم أيضا من يطلب حقه ؛ لأنه لايقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسلط على خصمه ، كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذى وليس له إليها حاجة فى تحصيل حقه ، كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره ، فهذا هو المذموم .

وأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع ، من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة ، من غير قصد عناد ولا إيذاء ، ففعل هذا ليس حراماً ، ولكن الأولى تركه ماوجد إليه سبيلا ، لأن ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدور ، وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما ، حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ، ويحزن لمسرته ، ويطلق لسانه فى عرضه . فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل مافيها

(٥٨٠) العنكبوت : ٤٦ . (٥٨١) النحل : ١٢٥ .
(٥٨٢) غافر : ٤ .

اشتغال القلب حتى إنه يكون فى صلاته، وخاطره متعلق بالمحاججة والخصومة، فلا تبقى حاله على الاستقامة . والخصومة مبدأ الشر ، وكذا الجدال والمراء . فينبغى للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لابد منها .

رُوينا فى كتاب للترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **كفى بك إثماً لا تزال مخاصماً** » .

وجاء عن على رضى الله عنه قال : إن الخصومة لها قُحَم . قلت : القحم ــ بضم القاف وفتح الحاء المهملة ــ وهى : المهالك .

(فصل) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخطٍ حتى ينزع** »(٥٨٣) .

وعن أبى أُمامة رضىَ الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدال** »(٥٨٤)، ثم تلا « **مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا** »(*) الآية .

وقال ﷺ : « **أخوف ماأخاف عليكم زلة عالم ، وجدال منافق فى القرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم** »(٥٨٥) رواه ابن عمر .

وقال النبى : « **المراء فى القرآن كفر** »(٥٨٦) .

(فصل) يكره التغيير فى الكلام بالتشدق ، وتكلف السجع بالفصاحة بالمقدمات التى يعتادها المتفاصحون ، فكل ذلك من التكلف المذموم ، بل ينبغى أن يقصد فى مخاطبته لفظاً يفهمه جلياً ولا يثقله .

روينا فى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل**

---

(٥٨٣) أخرجه الأصبهانى ، وسنده ضعيف .
(٥٨٤) أخرجه أحمد والحاكم عن أبى أمامة .
(*) الزخرف : ٥٨ .
(٥٨٥) أخرجه الطبرانى بنحوه عن معاذ ، وسنده ضعيف
(٥٨٦) أخرجه الحاكم عن أبى هريرة

بلسانه كما تتخلل البقرة » . قال الترمذى : حديث حسن ، وروينا فيه أيضا عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منىَّ مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إلىّ وأبعدكم منىّ مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » قال الترمذى : حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام ، والمتشدق من يتطاول على الناس فى الكلام ويبدو عليهم .

واعلم أنه لايدخل فى الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ ، إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب ، إلا أن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ فى هذا أثر ظاهر ، والله أعلم .

[الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء]

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾[٥٨٧] .

قال النبى ﷺ : « لاتمنعوا فضل الماء تمنعوا به الكلأ »[٥٨٨] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من منع فضل مائه وفضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة »[٥٨٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع إماماً لايبايعه إلا للدنيا ، فإن أعطاه منها وفى له ، وإن لم يعطه منها لم يف له ، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر ، فحلف له بالله لأخذتها بكذا وكذا ، فصدقه وهو على غير ذلك » أخرجاه فى الصحيحين وزاد البخارى :

(٥٨٧) الملك : ٣٠ .
(٥٨٨) أخرجه أصحاب السنن عن أبى هريرة .
(٥٨٩) أخرجه أحمد عن ابن عمرو .

« ورجل منع فضل مائه فيقول الله : اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يداك » .

[الكبيرة الثانية والستون : نقص الكيل والذراع وما أشبه ذلك]

قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾(٥٩٠) يعنى الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن . قوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾(٥٩١) يعنى يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج : المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر . ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(٥٩٢) أى ينقصون فى الكيل والوزن . وقال السدى : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له : أبو جهينة له مكيالان ، يكيل بأحدهما ، ويكتال بالآخر ، فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « خمس بخمس » ، قالوا : يارسول الله وماخمس بخمس ؟ قال : مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ماأنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وماظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون « يعنى كثرة الموت » ، ولاطففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر »(٥٩٣) ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾(٥٩٤) ، قال الزجاج : المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٥٩٥) أى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٥٩٦) أى لأمره ولجزائه وحسابه ، وهم يقومون بين يديه لفصل القضاء . وعن مالك بن دينار قال : دخل علىّ جار لى وقد نزل به الموت وهو يقول : جبلين من نار ، جبلين من نار . قال قلت : ماتقول ؟ قال :

(٥٩٠) (٥٩١) (٥٩٢) المطففين : ١ ، ٢ ، ٣ .
(٥٩٣) أخرجه الطبرانى عن ابن عباس .
(٥٩٤) المطففين : ٤ .
(٥٩٥) (٥٩٦) المطففين : ٥ — ٦ .

ياأبا يحيى كان لى مكيالان ، كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر . وقال مالك ابن دينار : فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر . فقال : ياأبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظماً وشدة ، فمات فى مرضه .

والمطفف : هو الذى ينقص الكيل والوزن مطففاً ؛ لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف ، وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام . ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب . وقيل : واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ..وقال بعض السلف : أشهد على كل كيال أو وزان بالنار ؛ لأنه لايكاد يسلم إلا من عصم الله ، وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت ، فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لاينطق بها ؟ فلما أفاق قلت له : ياأخى مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال : ياأخى لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها . فقلت له : بالله أكنت تزن ناقصاً ؟ قال : لا والله ولكن ماكنت أقف مدة لأختبر صحة ميزانى فهذا حال من لايعتبر صحة ميزانه ، فكيف حال من يزن ناقصاً ؟!

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن ، فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم ، وكذا التاجر إذا شدّ يده فى الذراع وقت البيع ، وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السماوات والأرض ، وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة » فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله]

قال الله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾[٥٩٧] أى أخذهم عذابنا من حيث لايشعرون . قال الحسن : من وسّع الله عليه فلم ير أنه

(٥٩٧) الأنعام : ٤٤ .

يُمكر به ، فلا رأى له ، ومن قتّر عليه فلم ير أنه ينظر إليه ، فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية :

﴿ حَتَّى إِذَا فرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتة فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾[٥٩٨] .

وقال : مُكر بالقوم ورب الكعبة ، أُعطوا حاجتهم ثم أُخذوا .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا رأيت الله يعطى العبد مايحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج**[٥٩٩] ، ثم قرأ :

﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ فتحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْته فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴾[٦٠٠] .

الإبلاس : اليأس من النجاة عند وُرود الهلكة ، وقال ابن عباس أيسوا من كل خير وقال الزجاج : المبلس : الشديد الحسرة اليائس .

وفى الأثر : إنه لما مكر بإبليس ــ وكان من الملائكة ــ طفق جبريل وميكال يبكيان ، فقال الله عز وجل لهما : مالكما تبكيان ؟ قالا : يارب مانأمن مكرك فقال الله تعالى ﴿ **هكذا كونا لاتأمنا مكرى** ﴾ . وكان النبى ﷺ يكثر أن يقول : « **يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك** » فقيل له : يارسول الله أتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء** »[٦٠١] .

وفى الحديث الصحيح « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** » . وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه

---

(٥٩٨) الأنعام : ٤٤ .
(٥٩٩) أخرجه البيهقى فى الشعب ، وسنده صحيح .
(٦٠٠) الأنعام : ٤٤ .
(٦٠١) أخرجه الحاكم وابن ماجه عن أنس .

النبى ﷺ قال : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة ، وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم** » .

وقد قص الله تعالى فى كتابه العزيز قصة بلعام وأنه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة ، وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر ، وروى أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى ، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار — وكانت جميلة — فافتتن بها ، وترك الأذان ، ونزل إليها فقالت له : ماشأنك وما تريد ؟ فقال : أنتِ أريدُ . قالت : لاأجيبك إلى ريبة . قال لها : أتزوجك قالت له : أنت مسلم وأبى لايزوجنى بك ، قال : أتنصر . قالت له : إن فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوج بها وأقام معهم فى الدار ، فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط فمات ، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها ، نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة . وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ماكان رسول الله ﷺ يحلف : « **لا ومقلب القلوب** » رواه البخارى ، ومعناه يصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف . وفى التنزيل : ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾[٦٠٢] قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما تصنع بنانه ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾[٦٠٣] أى عقل ، واختار الطبرى أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم ، وأنه يحول بينهم وبينها — إن شاء — حتى لايدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « **يامقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك . فقلت : يارسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا فهل تخشى ؟ قال : ومايؤمننى ياعائشة وقلوب العباد بين أصبعين**

(٦٠٢) الأنفال : ٢٤ .
(٦٠٣) ق : ٣٧ .

من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء ، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه »[٦٠٤] .

فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والإرادة غير مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قُرَبك ، ذلك إن كانَ من كسبك ، فإنه من خَلق ربك وفضله الدّارّ عليك ، فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخراً بمتاع غيرك ، ربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير .

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم ، إذهبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم . ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العليم .

ابن آدم . الأقلام عليك تجرى ، وأنت فى غفلة لاتدرىَ ، ابن آدم دع المغانى والأوتار ، والمنازل والديار ، والتنافس فى هذه الدار ، حتى ترى مافعلت فى أمرك الأقدار ، قال الربيع سئل الإمام الشافعى رحمه الله تعالى :

[الكبيرة الرابعة والستون : أذية أولياء الله (الموجود هو آخرها فقط)]

ينادى مناد من قبل العرش أين فلان ؟ أين فلان ؟ فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه ، قال : فيقول الله عز وجل لذلك الشخص ، أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض ، فيشخص الخلق بأبصارهم نجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدى الله عز وجل ، فيلقى الله عز وجل عليه من نوره ، يستره عن المخلوقين ، ثم يقول له عبدى أما علمت أنى كنت أشاهد عملك فى دار الدنيا ؟ فيقول ، بلى يارب ، فيقول الله تعالى ، عبدى أما سمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى ؟ فيقول ، بلى يارب ، فيقول الله تعالى ، أما سمعت بجزائى وثوابى لمن أطاعنى ؟ فيقول ، بلى يارب ، فيقول الله تعالى ، ياعبدى عصيتنى ؟ فيقول ، يارب قد كان ذلك ، فيقول الله تعالى ، عبدى فما ظنك اليوم بى ؟ فيقول يارب أن تعفو عنى ، فيقول الله تعالى ، عبدى

(٦٠٤) سبق تخريجه .

تحققت أنى أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يارب لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها علىَّ قال : فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك ، وغفرت لك ، وحققت ظنك ، خذ كتابك بيمينك ، فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها ، وماكان من سيئة فقد غفرتها لك ، وأنا الجواد الكريم .

إلٰهنا لولا محبتك للغفران ماأمهلت من يبارزك بالعصيان ، ولولا عفوك وكرمك ماسُكِنت الجنان .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .

اللهم انظر إلينا نظر الرضى ، وأثبتنا فى ديوان أهل الصفا ، ونجنا من ديوان أهل الجفا .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وحسن فى جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل فى بلوغ رضاك بسبلنا ، وخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . .

[الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة فيصلى وحده من غير عذر]

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة (**لقد هممت أن آمر رجلاً يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم**) رواه مسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **لينتهين أقوام عن وَدْعِهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين** » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « **من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه** » أخرجه أبو داود والنسائى ، وقال : « **من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقاً فى ديوان لا يمحى ولا يبدل** »(٦٠٥) .

(٦٠٥) أخرجه الطبرانى عن أسامة بن زيد .

وعن حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **رواح الجمعة واجب على كل محتلم** »[٦٠٦] أى على كل بالغ .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة السادسة والستون : الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر]

قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ** ﴾[٦٠٧] .

قال كعب الأحبار : مانزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلفون عن الجماعات . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين ــ رحمه الله ــ : كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء .

وفى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لايشهدون الصلاة فى الجماعة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار** » . وفى رواية لمسلم أيضاً من حديث أبى هريرة « **لقد هممت أن آمر فتيتى أن يجمعوا لى حزماً من حطب ثم آتى قوماً يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم** » . وفى هذا الحديث الصحيح والآية التى قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر ، فقد روى أبو داود فى سننه بإسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سمع المنادى فلم يمنعه من إتيانه عذر ــ قيل : وما العذر يارسول الله ؟ قال : خوف ، أو مرض ــ لم تقبل منه الصلاة التى صلى** » يعنى فى بيته .

---

(٦٠٦) اخرجه الطحاوى وأبو داود عن حفصة .
(٦٠٧) القلم : ٤٢ ــ ٤٣ .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ، ولا يصلى فى جماعة ولا يُجمع ، فقال : إن مات هذا فهو فى النار .

وروى مسلم أن رجلا أعمى جاء إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : « **فأجب** » .
وفى رواية أبى داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبى ﷺ وقال : يارسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال له النبى ﷺ : « **تسمع حى على الصلاة حى على الفلاح** » ؟ قال : نعم . قال : « **فأجب ، فحى هلا** » . وفى رواية إنه قال : يارسول الله إنى ضرير شاسع الدار ، ولى قائد لايلائمنى فهل لى رخصة ؟ وقوله « **فحى هلا** » أى تعال وأقبل .
وروى الحاكم فى مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له** » . قالوا : وما العذر يارسول الله ؟ قال : « **خوف أو مرض** » وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **لعن الله ثلاثة ــ من تقدم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجلا سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب** »[(٦٠٨)] . قال أبو هريرة « لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير من أن يسمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لايجيب » وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد ، قيل من جار المسجد ؟ قال : من يسمع الأذان ، قال أيضاً : (من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسة إلا من عذر) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً

(٦٠٨) أخرجه الحاكم عن ابن عباس . وقد تقدم .

فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإنها من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا ومايتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض . ولقد كان الرجل يؤتى به يهادَى بين الرجلين حتى يقام فى الصف يعنى يتكىء عليهما من ضعفه حرصاً على فضلهما وخوفاً من الإثم فى تركها .

(فصل) : وفضل صلاة الجماعة عظيم كما فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ من بِعْدِ الذِكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٦٠٩] إنهم المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات . وفى قوله تعالى : ﴿وَنَكْتُبُ مَاقَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[٦١٠] أى خطاهم .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه الذى صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه مالم يؤذ فيه أو يحدث فيه** » .

وقال ﷺ : « **ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط** » رواه مسلم .

[الكبيرة السابعة والستون : الإضرار فى الوصية]

قال الله تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾[٦١١] .

---

(٦٠٩) الأنبياء : ١٠٥ . (٦١٠) يس : ١٢ . (٦١١) النساء : ١٢ .

أى غير مدخل الضرر على الورثة ، وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه . وقال الله تعالى : ﴿ وَصِيَّةً مِنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[٦١٢] .

قال ابن عباس : يريد ماأحل الله من فرائضه فى الميراث (ومن يطع الله ورسوله) فى شأن المواريث (يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) قال مجاهد : فيما فرض الله من المواريث .

وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعدى ماقال الله (يدخله ناراً) .

وقال الكلبى يعنى يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده استحلالا (يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار** » ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية ﴿ **من بعد وصية يوصَى بها أو دين غيرَ مُضَارٍّ** ﴾ رواه أبو داود .

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة** »[٦١٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث** » صححه الترمذى .

[الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة]

وقال النبى ﷺ « **المكر والخديعة فى النار** »[٦١٤] .

وقال ﷺ : « **لايدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان** »[٦١٥] . وقال الله

---

(٦١٢) النساء : ١٢ .

(٦١٣) أخرجه ابن ماجه عن أنس ، وسنده ضعيف .

(٦١٤) أخرجه البيهقى فى الشعب .

(٦١٥) أخرجه أبو يعلى والترمذى عن أبى بكر .

تعالى عن المنافقين : ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾[٦١٦] . قال الواحدى يعاملون عمل المخادع على خداعهم . وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون ، فإذا مضوا على الصراط أطفىء نورهم ، وبقوا فى الظلمة .

وقال ﷺ فى حديث : « **وأهل النار خمسة ، وذكر منهم رجلا لايصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك** »[٦١٧] .

[الكبيرة التاسعة والستون : من جس على المسلمين ودل على عوزتهم]

فيه حديث حاطب بن أبى بلتعة وأن عمر أراد قتله بما فعل ، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدراً[٦١٨] ، إذا ترتب على جسه وهن على الإسلام وأهله وقتل أو سبى أو نهب أو شىء من ذلك ، فهذا ممن سعى فى الأرض فساداً ، وأهلك الحرث والنسل ، فيتعين قتله وحق عليه العذاب . نسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يدرى كل ذى جس أن النميمة إذ كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية ؛ إنه لطيف خبير جواد كريم .

[الكبيرة السبعون : سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم]

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : ﴿ **من عادى لى وليًا فقد آذنته الحرب** ﴾ ، وقال ﷺ : « **لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً مابلغ مُد أحدكم ولا نصيفه** » مخرج فى الصحيحين .

وقال ﷺ : « **الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد**

(٦١٦) النساء : ١٤٢ .
(٦١٧) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن حمار .
(٦١٨) أخرجه الشيخان عن على بن أبى طالب .

آذانى ، **ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه** » أخرجه الترمذى .

ففى هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وقوله ﷺ : « **الله الله** » كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر : النار النار أى احذروا النار ، وقوله : « **لاتتخذوهم غرضاً بعدى** » أى لاتتخذوهم غرضاً للسب والطعن ، كما يقال : (اتخذ فلان غرضاً لسبه أى هدفاً للسب) وقوله : (فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم) ، فهذا من أجلّ الفضائل والمناقب ؛ لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال ، فمن أحبهم فإنما أحب النبى ﷺ . فحب أصحاب النبى ﷺ عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه ، كما جاء فى الحديث : « **حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق** »[٦١٩] ، وماذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول الله ﷺ . وكذلك حب على رضى الله عنه من الإيمان ، وبغضه من النفاق ، وإنما يعرف فضائل الصحابة رضى الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من السابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ، ونشر الدين ، وإظهار شعائر الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ورسوله ، وتعليم فرائضه وسننه ، ولولاهم ماوصل إلينا من الدين أصل ولافرع ، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئا .

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لايكون إلا عن اعتقاد مساوئهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ماذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم ، ومالرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من

(٦١٩) أخرجه مسلم والنسائى عن أنس .

المنقول ، والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، هذا ظاهر لمن تدبره ، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد فى عقيدته ، وحسبك ماجاء فى الأخبار والآثار من ذلك كقول النبى ﷺ : « **إن الله اختارنى واختار لى أصحابا ، فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا** »(٦٢٠) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نُسبّ ، فقال رسول الله ﷺ : « **من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** »(٦٢١) .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله اختارنى واختار لى أصحابى وجعل لى أصحاباً وإخواناً وأصهاراً ، وسيجىء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تؤاكلوهم ولاتشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم** »(٦٢٢) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا** »(٦٢٣) . قال العلماء : معناه من حص عن سر القدر فى الخلق ، وهو : أى الإمساك علامة الإيمان والتسليم لأمر ، وكذلك النجوم ، ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك ، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشىء ، وتتبع عثراتهم ، وذكر عيباً وأضافه إليهم ، كان منافقاً. بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ، وحب ماجاء به ، وحب من يقوم بأمره ، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته ، وحب آله وأصحابه

(٦٢٠) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن ساعدة .
(٦٢١) أخرجه الترمذى عن ابن عمر .
(٦٢٢) أخرجه البيهقى عن أنس .
(٦٢٣) أخرجه ابن عدى عن ابن مسعود .

وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه ، وحب من يحبهم ، وبغض من يبغضهم ، « **لأن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله ، والبغض فى الله** »(٦٢٤) .

قال أيوب السختيانى رضى الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق .

(فصل) : وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر ، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة : العشرة المشهود لهم ، وأفضل العشرة : أبو بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، ولايشك فى ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبى ﷺ فى حديث العرباض بن سارية حيث قال : « **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور** »(٦٢٥) الحديث .

والخلفاء الراشدين هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين . وأنزل الله فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه آيات من القرآن ، قال الله تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾(٦٢٦) . الآية . لاخلاف أن ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه . وقال تعالى : **﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار ﴾**(٦٢٧) الآية ، لا خلاف أيضا أن ذلك فى أبى بكر — رضى الله عنه — شهدت له الربوبية بالصحبة ،

---

(٦٢٤) نص حديث أخرجه الطيالسى وأحمد عن ابن مسعود .
(٦٢٥) أخرجه الحاكم والدارمى وأبو داود عن العرباض .
(٦٢٦) النور : ٢٢ .
(٦٢٧) التوبة : ٤٠ .

وبشره بالسكينه وحلاه بثانى اثنين كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : من يكون أفضل من ثانى اثنين الله ثالثهما ؟ وقال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[٦٢٨] .

قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذى جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه وأى منقبة أبلغ من ذلك فيهم ؟ رضى الله عنهم أجمعين .



(٦٢٨) الزمر : ٣٣ .

الفهرس

سلسلة
اخترت لك من التراث

صدر منها :

١ ــ الثبات عند الممات

لحافظ أبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى .
تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

٢ ــ فتاوى النساء

شيخ الاسلام ابن تيميه .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

٣ ــ يوم الفزع الأكبر

للامام القرطبى .
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٤ ــ فتاوى رسول الله ﷺ

للامام الجليل ابن قيم الجوزية .
تحقيق : مصطفى عاشور .

٥ ــ قصة السحر والسحرة فى القرآن الكريم

للامام محمد الرازى فخر الدين
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٦ ـ طبائع النساء

للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى .
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٧ ـ تفسير الاحلام

للامامين الجليلين
ابن سيرين والنابلسى .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

٨ ـ المنهيـــات

لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

٩ ـ نزهة الجلساء فى أشعار النساء .

للامام جلال الدين السيوطى
تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

١٠ـ تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين .

لأحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى .
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

١١ـ غرائب وعجائب الجن

للشيخ العلامة المحدث بدر الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله الشبلى الحنفى .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

١٢ــ التوهم رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة .
للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

١٣ــ مختصر الطب النبوى .
للحافظ الامام جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .
تحقيق : نشأت المصرى .

١٤ــ السراج الوهاج فى الاسراء والمعراج .
لأبى إسحق محمد بن إبراهيم النعمانى الشافعى .
تحقيق : عبد القادر أحمد عطا .

١٥ــ فهم الصلاة .
للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

١٦ــ مختصر إغاثة اللهفان .
لابن غانم المقدسي .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

١٧ــ علامات يوم القيامة .
للحافظ ابن كثير الدمشقى .
تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

١٨ــ الرزق الحلال
للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

رقم الايداع ٧٥٨٣/ ٨٦

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوي .. بولاق
القاهرة . ت : ٧٦١٠٦٦٢ - ٧٦٨٥٩١



٢٠٠ قرشا